سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكر يمني
www.sultannagi.com

الخليج العربي

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بشؤون الخليج العربي والجزيرة العربية

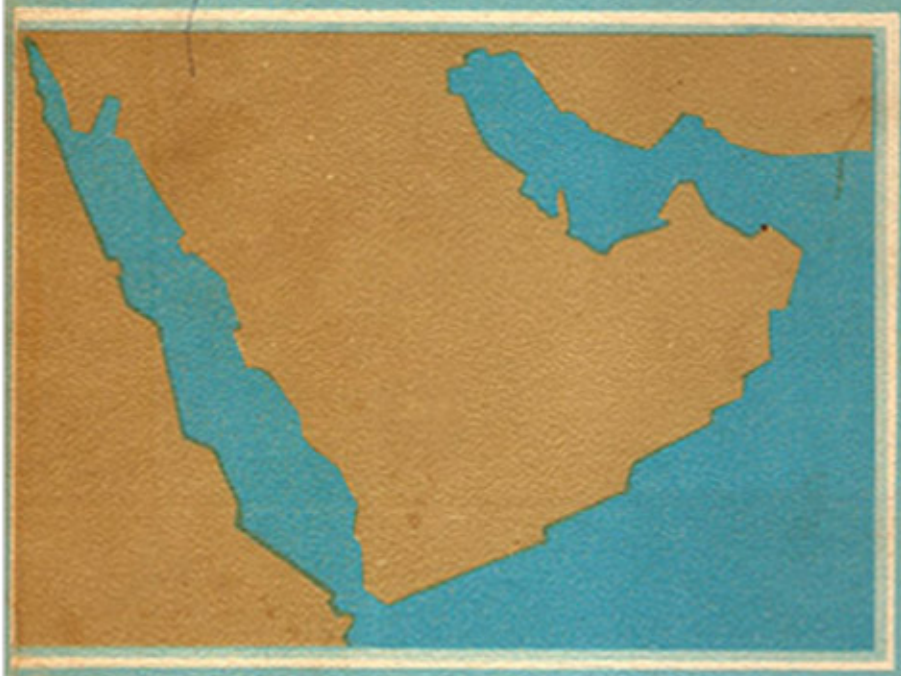

تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي
جامعة البصرة الجمهورية العراقية

العدد الثامن ـــ ١٩٧٧

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

عدن تحت الحكم البريطاني ١٨٣٩ . ١٩٦٧

سلطان ناجي. جامعة البصرة - العراق، مجلة الخليج العربي، العدد الثامن، ١٩٧٧م.
(ترجمة مختصرة من الإنجليزية لكتاب البروفيسور آر. جي. جافين
بعنوان: عدن تحت الحكم البريطاني Aden Under British Rule
١٨٣٩ – ١٩٦٧ ، صادر عن سي هيرست، لندن، ١٩٧٥م).

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

هيئة التحرير

ـــ رئيس التحرير :

الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار .

ـــ سكرتير التحرير :

الدكتور حسين علي السعدي .

ـــ الاعضـــاء :

الدكتور عبدالرسول محمد شاني .
الدكتور بهجت كامل عبداللطيف .
الدكتور عبدالسلام ياسين الادريسي .

ـــ الاشراف الفني :

محمد علي حمزة سعيد
عبدالجبار حمد حسين
حميد احمد حمدان
غانم جواد رضا

كل ما ينشر في هذه المجلة يمثل رأي كاتبه ولا يعبر عن وجهة نظر المركز أو لجنة تحرير المجلة .

رتبت المقالات لاعتبارات فنية .

ترسل الابحاث باسم رئيس التحرير .

(مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ الجمهورية العراقيـــة)

المحـرر المشارك

ـــ الدكتور عبد النعيم حسنين ـ قسم اللغات الشـرقية
جامعة عين شمس

الهيئة الاستشارية :

ـــ الدكتور اميل نخلة ـ قسم العلوم السياسية
ـ كلية مونت سانت ماري ـ الولايات المتحدة الامريكية

ـــ الدكتور صلاح العقاد ـ قسم التاريخ
ـ جامعة عين شمس

ـــ الدكتور عبدالامير محمد امين ـ قسم التاريخ
ـ جامعة بغـداد

ـــ الدكتور عصام الزعنم ـ الامين التنفيذي
المساعد لجمعية اقتصاديين العالم الثالث
والاستاذ بجامعة الجزائر

ـــ الدكتور علي خليفة الكواري ـ مدير قسم التسويق
والنقل بالمؤسسة القطرية العامة للبترول
وعضو لجنة تنسيق الخليج القطرية

ـــ الدكتور كاظم السعيدي ـ المستشار الاقتصادي
لمكتب الشؤون الاقتصادية لمجلس قيادة الثـورة
وعضو مجلس التخطيط بغـداد

ـــ الدكتور ريتشارد لوتس ـ مركز دراسات الشرق الاوسط
والدراسات الاسلامية بجامعة درهام في بريطانيا

ـــ الاستاذ محمد علي الاكوع الحوالي ـ رئيس لجنـة
التاليف والنشر في الجمهورية العربية اليمنية

ـــ الدكتور محمد غانم الرميحي ـ قسم الاجتمـاع

ـــ الدكتور محمد مرسي عبدالله ـ مدير مركز الوثائـق
ـ جامعة الكويت
والدراسات في ابو ظبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة

ـــ الدكتور مراد بابا مراد ـ قسـم علـوم الحيـاة ـ
جامعـة بغـداد

ـــ الدكتور عبد الامـير مجيـد سعيد الصـفار
استاذ الجغرافية السياسية بجامعة بغداد سابقا

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

عدن تحت الحكم البريطاني ١٨٣٩ ـ ١٩٦٧

تأليف : البروفيسور ار ٠ جي ٠ جافين

لندن : سي ٠ هارست ١٩٧٥ ٤٧٢ صفحة

Aden under British Rule 1839-1967

R. J. GAVIN C. Hurst, London, 1975 472p.

مراجعة وعرض : سلطان ناجي

مؤلف هذه الدراسة الهامة البروفيسور جافين استاذ التاريخ في الجامعات النيجيرية منذ خمسة عشر عاما وهو حاليا استاذ هذه المادة في جامعة احمد بيللو هناك . ومنذ (١٢) عاما وانا شخصيا اترقب بتلهف صدور هذا الكتاب خاصة وانه يعالج فترة من التاريخ اليمني شعرت منذ زمن بوجوب دراستها بشمولية وموضوعية . ففي عام ١٩٦٤ ،عندما اصدر السير شارلس جونستون، المندوب السامي البريطاني الاول في عدن : كتابه، الرؤية من التواهي : ثلاث سنوات حاسمة في جنوب الجزيرة العربية ، ذافيو فروم استيمر بوينت : ثرى كروشيل ايرس ان ساوث ارابيا(١) قال السير جونستون في مقدمته (ص ١٥) مامعناه بانه لم يحاول القيام بدور المؤرخ للحكم البريطاني في عدن لان ذلك « تشتمل عليه دراسة مطولة للدكتور جافين ستنشر قريبا » وذهبت السنون وكتاب الدكتور جافين هذا لم يسمع له من خبر الى ان كان صدوره العام الماضي .

ويخبرنا المؤلف ، في تقديمه القصير المتواضع، بانه قد قضى بالفعل ستة عشر عاما في تأليف هذا الكتاب وانه قضى سنته الاولى من البحث عام ١٩٥٩ في عدن ذاتها وهو يتلمس طريقه بارتباك بين سجلات وملفات دار الحاكم العام محاولا الامساك بطرف هذا الموضوع الجديد عليه . وكانت النية في بادىء الامر ان تغطي الدراسة فترة المئة سنة الاولى تقريبا من الاستعمار البريطاني الى الحرب العالمية الثانية ولكن الاحداث اللاحقة التي بشرت ثم ادت في النهاية الى تصفية الوجود البريطاني من عدن عام ١٩٦٧ فرضت على المؤلف ان يسير ببحثه الى نهايته المنطقية ، الى يوم الاستقلال . وقد فعل الان ذلك .

ويحتوى الكتاب على (٤٧٢) صفحة تضم في ثناياها (١٢) فصلا ، و (٣) ملاحق ، و (١٣) صورة تاريخية ، و (٤) خرائط ، و (١٣) شكلا ورسما بيانيا اقتصاديا ، وفهرسا للاسماء والمواضع ، وقائمة بالمصادر المطبوعة ، وملاحظات حول الوثائق السرية وحواشي للفصول في (٩٢) صفحة ضمت في ثناياها الاف المصادر والملفات والوثائق السرية التي استخدمها المؤلف في الكتاب وهي من ثلاث مؤلفات رئيسية هي : سجلات الاقامة في عدن ، ومكتب الهند ، ومكتب السجلات العامة في لندن، بالاضافة الى سجلات وزارة الدفاع والخارجية والمستعمرات ، وبعض المجموعات والاوراق الخاصة التي هي بحوزة الافراد او الجامعات ، ثم المقابلات الشخصية مع بعض الحكام والمندوبين الساميين والمسؤولين البريطانيين السابقين في عدن . وبالنسبة للمصادر المطبوعة فقد اشتملت قائمته على معظم مصادر من الكتب والتقارير الاجنبية حول عدن في العصر الحديث اضافة الى بضع مؤلفات عربية اساسية ذات علاقة بالموضوع « كهدية الزمن في اخبار ملوك لحج وعدن » ومؤلفات « حضرمية » اخرى .

(1) CHARLES JOHNSTON. **The view from Steamer Point: Three Crucial years in South Arabia.** Collins, London, 1964.

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

والواقع ان هذا الكتاب الضخم يقدم لنا دراسة ممتازة عن الامبريالية وكيف ان تطور التكنولوجيا الحديثة قد ساهم بتشكيل النمو المبالغ فيه للانماط الاجتماعية في عدن ، تلك الانماط التي هي من خصائص المجتمعات الاستعمارية في كل مكان خلال تلك الحقبة من الزمن الذي بلغ فيه الاستعمار اعلى مراحله . فقد رسم لنا المؤلف صورة لنمو ذلك المجتمع الراسمالي غير المتماسك في عدن المستعمرة ، ولتلك الطبقة السياسية التي كانت بدون جمهور من الناخبين، ثم لسلطات الزعماء القبليين المنفعلة عن جذورها التقليدية والعرفية . كما ركز على تبيين مراحل السياسة المختلفة التي اتبعتها بريطانيا خلال وجودها في عدن ، والادوار التي كانت تريد من الميناء والقاعدة القيام بها لخدمة استراتيجيتها الامبريالية العامة على ضوء تغير وتبدل السياسة الدولية والاوضاع الاقليمية اليمنية والعربية . وخلال دراسته هذه ابرز لنا المؤلف ايضا السياسات في مختلف الفترات ، بين عدن والارياف المحيطة بها من جانب ، وبينها وبين السلطات الحاكمة في شمال اليمن تركية كانت ام امامية من جانب اخر .

وبجانب اهتمام البروفيسور جافين بالجانب السياسي من الموضوع فقد اهتم ايضا بتطور عدن الاقتصادي من الاحتلال الى الاستقلال ، فقدم لنا احصائيات دقيقة ومتكاملة استخرجها من بطون ملفات الشركات الاحتكارية العاملة في عدن ك: لوك توماس ، وكورى براذرس وقاوجي دينشو الخ الخ .. ومن امانة الميناء ودوائر الضرائب والتجارة. وقد قام بتحليل تلك الفعاليات الاقتصادية وربطها بمجريات الاحداث وتطورها في المستعمرة . والكتاب بعد هو تاريخ لمجتمع تجاري غريب المنشأ كان يتضخم باطراد مع نمو المجتمع الصناعي العالمي الحديث ويستفيد من دوره الوسيط بين هذا المجتمع الاخير وبين الارياف المتخلفة اقتصاديا والمحيطة بعدن .ان الفجوات الاجتماعية التي ولدها ذلك الاحتكاك كانت الى حد كبير هي التي قررت وظيفة عدن وسماتها الخاصة .

وفي اغلب الحالات يرينا المؤلف مدى تاثير القناعات والامزجة الشخصية للحكام والمعتمدين السياسيين المسؤولين في عدن في صياغة وتشكيل مجمل السياسات التي تقررها لندن في النهاية حول المنطقة . وقد اثبتت الايام ان كثيرا من تلك السياسات كانت خاطئة مما ادى في الاخير الى اجلاء بريطانيا من جنوب اليمن بمثل تلك الطريقة التي نعرفها جيدا .

وفي رايي ان كتاب البروفيسور جافين هو افضل واشمل واهم كتاب صدر عن عدن ابان الاحتلال البريطاني لها . فكل الكتب السابقة الصادرة عنها لم تكن عموما من اعمال مؤرخين ولم تكن تشمل كل الفترة وذلك على الرغم من عدم وجود مستعمرة اخرى بحجم عدن ـ كما اعتقد ـ يمكن ان تضاهيها بأعداد الكتب والابحاث المؤلفة حولها ابتداء بكتاب بليفر ، المساعد الاول للمقيم البريطاني عام ١٨٥٩ وانتهاء بكتاب اخر مندوب سامي هو اللورد تريفيليان عام ١٩٧٠ . لقد بلغت الكتب والابحاث المؤلفة حول عدن المئات كتبت العشرات منها من قبل المقيمين والمعتمدين الساميين والحكام والمستشارين والضباط السياسيين والعسكريين والمندوبين الساميين امثال (هنتر) و (جاكوب) و(لنت) و (ترافيسكس) (وترفيلد) و (فوستر) و(كوليس ميتشل) و (الفرى) و (بوستيد) و(باجت) الخ الخ .. فقد جرت العادة ان يؤلف معظم اولئك المسؤولين البريطانيين، بعد ان يتقاعدوا عن حكم عدن والمحميات ، كتبا عن فتراتهم يضمنونها الكثير من المعلومات الخفية والاحكام الشخصية شبه الرسمية التي تجعل بعضها بمثابة مصادر اولية . وبالفعل فان بعضا من تلك الكتب هي لاشك هامة لكون اصحابها قد شاركوا مشاركة مباشرة في الاحداث التي كتبوا عنها ، الا ان جميعها تبقى كتبا سياسية ، وتعبر عن وجة نظر واحدة هي نظرة الحاكم نفسه ، وتعالج فترات محددة ولا تسمح لها طبيعتها قول كل شيء وكل الحقيقة حول تلك الفترات المحددة ذاتها .

ومن هنا يأتي تفضيلنا لكتاب البروفيسور جافين من حيث شموليته ، واحكامه الهادئة غير المتحيزة ، وطريقة اسلوب تاليف الكتاب الموثقة توثيقا فريدا ، بحيث لا يصدر احكاما الا وهي مدعمة بالنصوص المستخرجة من بطون الملفات والوثائق السرية . والحق اقول انه لم يسبق لي ان قرات كتابا حول اليمن او غير اليمن استخدم فيه ذلك العدد الهائل من المصادر الاولية مثل هذا الكتاب . والاهم من ذلك ان الكتاب لم يؤلف ـ كمعظم سابقيه ـ دفاعا عن الاستعمار وانما لتعريته وتشريحه ولكن بالطريقة العلمية الموضوعية. وقد حاول المؤلف تطبيق الاسلوب الدياليكتيكي في تفسير كثير من احداث هذه الفترة . وحتى

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

بمقارنتنا هذا الكتاب مع الكتب الاكاديمية الاخرى ـ وهي قليلة ـ التي كتبت حول المنطقة خلال الاحتلال البريطاني ، يبقى كتاب جافين هو الاكثر شمولا والابعد عمقا في رايي . فمنذ الاستقلال صدرت ثلاث كتب غربية اعتمدت اساسا على الوثائق هي كتاب « اليمن والعالم الغربي » لاريك مونرو ، وكتاب « سلاطين عدن » لوترفيلد ، ثم « عدن : اخر القواعد البريطانية ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧» لباجت ولكن جميعها تؤرخ لفترات محددة كما انها اكثر تعاطفا مع الجانب البريطاني بحكم ان مؤلفيها انفسهم كانوا يوما ما موظفين بريطانيين في عدن. كذلك هناك بضع اطروحات للدكتوراه من الجامعات العربية او الاجنبية حول هذه الفترة ولكنها جميعا لا تتعدى فترة الحرب العالمية الاولى . وحتى بمقارنتنا لها ـ وهي المفترض ان تكون اكثر تخصصا ـ بالقسم الاول من كتاب البروفيسور جافين الذي يغطي الفترات التي ناقشتها تلك الاطروحات ، فلا يزال البون شاسعا من حيث المصادر الاساسية المستخدمة والنتائج المتوصلة اليها عند الفريقين . ويمكن الان لهؤلاء الباحثين الافاضل انفسهم مقارنة ذلك بعد صدور كتاب الدكتور جافين حتى من العرض السريع الذي قرأته في الشهر الماضي لاخر اطروحة من هذا النوع لا ازال اعتقد ان كتاب جافين لايزال يحتل الصدارة . والاطروحة الاخيرة هي لزكي كور من احدى الجامعات الاجنبية بعنوان « السنوات الاولى للحكم البريطاني في عدن » . وقد نشر عرض لها في عدد فبراير ١٩٧٦ من مجلة (ميدل ايست انترنشنال وترجمت المقال الطليعة الكويتية ونشرته في عددها (٥٦٠) بتاريخ ٢ـ٣ـ١٩٧٦ . كما حصل الدكتور مهرا على الدكتوراه من جامعة لكنو عام ١٩٧٥ حول «بروز محميات عدن ١٨٨٥ـ١٩٠٥ »

وعليه ، ونظرا لاهمية هذا الكتاب ـ الذي نوصي بشدة بترجمته ـ فانني لم اتبع المنهج التقليدي في عرض الكتب ومراجعتها وانما اخترت الطريق الاصعب فقمت باختصاره فصلا فصلا مع المحافظة على اهم نصوصه دون ان اخل بحرفية الترجمة ومع الحرص على الربط بين فقرات وفصول هذا الكتاب الضخم بهدف ان اقدم للقارىء فرصة استيعاب الكتاب وكانه قد قراه كلا كاملا غير مبتور ولا محذوف في هذا العرض المختصر وهو اسلوب متبع في اختصار « ابريدجمنت »(١)

الكتب الهامة والضخمة . واملي ان اكون قد وفقت في عملي هذا مع التأكيد بان هذا لا يجب ان يكون بديلا للترجمة الكاملة لهذا الكتاب الفريد .

عدن تحت الحكم البريطاني

١ ـ قبل ان يأتي البريطانيون الى عدن :

I. Before the British came to Aden

كان هناك تطوران رئيسيان في العصر القديم اديا الى ازدهار ميناء عدن اولهما توسع التجارة بين الشرق وحوض البحر الابيض المتوسط بحيث انه لم يات القرن الثالث الميلادي الا وقد تحولت معظم التجارة البرية اليمنية الى البحر عبر البحر الاحمر ، وثانيهما السقوط التدريجي لمراكز السلطة اليمنية القديمة في داخلية البلاد وبروز مدن جديدة بديلة لها قرب السواحل خاصة بعد قيام دولة حمير في المنطقة الجنوبية المجاورة لعدن . كذلك مما زاد في اهمية عدن في تلك العصور ان اليمن اصبحت منجذبة اكثر داخل الحلبة السياسية العامة للشرق الاوسط وبالذات بعد الغزوين الحبشي والفارسي ودخول المسيحية واليهودية اليها . لذا كان من الطبيعي ان يكون الجو مهيئا لقبول الديانة التوحيدية التي جاء بها الاسلام ،وان يصبح لعدن شأن واي شأن في العصور الاسلامية نتيجة سبق اهل اليمن في الاسلام ومشاركتهم الكبرى في بناء الحضارة العربية .

ففي اثناء ازدهار الخلافة العباسية نجد ان مراكز التجارة والتبادل الاقتصادي بين الشرق والغرب تتحول تدريجيا من جنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر الى منطقة الخليج العربي والطرق الشرقية المارة عبر عاصمة الخلافة مما أدى مؤقتا على الموقع الاقتصادي لميناء عدن . الا انه بقيام الخلافة الفاطمية تحول ميزان السلطة السياسية من بغداد نحو القاهرة فكان ان انتعش النشاط الاقتصادي لعدن واصبحت من جديد همزةالوصل بين الشرق والغرب في معظم المسائل التجارية

* ينوى المراجع ترجمة الكتاب كاملا اذا ما توفرت الظروف لديه ووجد المؤسسة الثقافية المهتمة بالشؤون اليمنية التي ستتكفل بطبع الترجمة ونشرها .

(1) Abridgment.

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

والاقتصادية خاصة عندما اصبحت اليمن تدخل ضمن ولاء الفاطميين ونفوذهم اثناء قيام دولها الشيعية كالصلحيين والزريعين . وعندما وقع الغزو الايوبي على اليمن ايام صلاح‌الدين واصل الايوبيون سياسة الفاطميين في الاعتناء بعدن وبقية الموانىء اليمنية بحيث اصبحت عدن عام ١١٧٥ اكثر امانا وتحصينا من اي ميناء عربي اخر في الجزيرة العربية . ومنذ استقلال الرسوليين بها في بداية القرن الثالث عشر وحتى انتهاء دولتهم في اليمن في القرن الخامس عشر بلغت عدن ذروة ازدهارها ومجدها الاقتصادي ، الا انه بعد العقد الثاني من القرن الخامس عشر بدات عدن تفقد تدريجيا ازدهارها واهميتها الاقتصادية نتيجة المنافسة النشطة التي كان يقوم بها ميناء هرمز في الخليج العربي حيث استطاع تدريجيا ذلك الميناء امتصاص الجزء الاكبر من تجارتها المالية . ولما جاء الطاهريون حلفاء الرسوليين قضوا معظم فترة حكمهم ، الذي استمر حتى منتصف القرن السادس عشر ، يتنافسون مع الموانىء المصرية المطلة على البحر الاحمر وميناء الشجر في حضرموت من اجل السيطرة على تجارة البحر الاحمر والمحيط الهندي. ولكن مع كل ذلك فقد كانت عدن عام ١٤٦٠ مثلا لاتزال تعتبر ميناء عظيما وحصينا يتراوح سكانها بين ٥٠٫٠٠٠ ـ ٦٠٫٠٠٠ نسمة ويوجد فيها خليط من التجار المصريين والسوريين والمغاربة واليهود والهنود .

وفي القرن السادس عشر ، بداية العصور الحديثة ، اصبحت عدن الضحية الكبرى للصراع البرتغالي/المملوكي ثم البرتغالي/العثماني فيما بعد في مياه المحيط الهندي وبحر العرب والبحر الاحمر . وعندما مد العثمانيون سيطرتهم على اليمن في الفترة مابين ١٥٣٨ـ١٦٣٠ حولوا عدن الى قلعة عسكرية للقسم الجنوبي من البلاد وساعدوا على انحطاطها واصبح الميناء اليمني الرئيسي والمزدهر هو المخا . وكان السبب الثاني الهام الذي قضى على عدن بعد الصراع العسكري البرتغالي/العثماني هو نمو الاتجار بالبن اليمني بدلا من البهارات الشرقية التي كانت تجارة الترانزيت فيها من اسباب ازدهار عدن . لقد اصبحت تجارة البن ـ عبر ميناء المخا ـ هو الاساس الاقتصادي الجديد وبمثابة ثورة تجارية غيرت جذريا العلاقات التجارية بين الشرق وحوض المتوسط بعد القرن السادس عشر . وهكذا استمرت عدن في التدهور الاقتصادي اثناء وبعد طرد العثمانيين ودخولها ضمن السلطة المركزية في صنعاء خلال القرن السابع عشر . الا انه نتيجة المنافسة في زراعة البن الرخيص خارج اليمن فقد ركدت تجارة البن اليمني بحيث انه لم يات الربع الاخير من القرن الثامن عشر الا وقد اصبح البحر الاحمر في حالة ركود اقتصادي تام . اما عدن ـ وكذا بقية مناطق الجنوب ـ فقد اصبحت مستقلة عن ائمة صنعاء وتابعة للسلطنة اللحجية. وبقي هكذا وضعها التجاري حتى مجيء الغزو البريطاني عام ١٨٣٩ . وبالطبع فان الانجليز لم يحتلوا عدن لانها تصلح مكانا لتزويد السفن بالفحم فقط وانما لاهميتها الاستراتيجية كي تخدم اهدافهم السياسية .

٢ ـ عدن تحت حكم هينس :

II. Aden under Haines.

بما أن القبطان هينس كان هو المخطط والمنفذ لاحتلال عدن فقد كوفيء بأن يكون اول معتمد سياسي لها . وقد بقي يحكمها طيلة (١٥) عاما) وكان له التاثير الاعظم على مجريات امورها وذلك على الرغم من انه لم تكن لديه سلطات الحاكم الكاملة بسبب ان الحامية العسكرية بقيت كل تلك الفترة تحت قيادة مستقلة . وكان الصراع والتنافس على اشده بين هينس وبين قادة الحامية وعمل كل منهما للاستئثار بالسيطرة على كل شؤون المستعمرة . وقد عرف عن هينس تصديقه السريع لما يقال عن اعدائه وعدم تورعه من استخدام كل الاساليب الرخيصة ضدهم ولتشويه سمعتهم ثم الضرب بشدة على اعدائه اذا ما وقعوا بين يديه. اما عدن فقد كان يعتبرها اقطاعية خاصة له . وكان يقضي جل وقته مع شلة من اصحابه يثق بهم ويعتمد عليهم ، يدبرون المؤامرات في شؤون عدن والامارات والسلطات المحيطة بها بل وحتى امور اقاصي شمال اليمن حيث كانت السلطة موزعة هناك بين ائمة صنعاء واشراف المخا . وكانت شلته تلك تتكون من (٥) من الفرس والهنود وكلهم جاءوا بعد الاحتلال ـ وهم الملا جعفر والحاج عبدالرسول ومحسن شاه مونتي وسورابجي كاوجي ثم علي ابو بكر ابن الحاكم اليمني السابق بعدن . اما علوي بن زين العيدروس فكان في عداء مع هينس ومستشاره الملا جعفر ولكنه يتمتع باحترام العسكريين وكان جميع افراد هذه الزمرة يلهثون وراء مصالحهم الذاتية ، فاسدين ومرتشين ومراوغين وقد اعطيت لهم الامتيازات والاحتكارات والعقود الكبيرة في كل المناحي الاقتصادية .

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

وكان هينس يمسك بحلقة رهيبة من الجاسوسية تغطي معظم مناطق اليمن . فعن طريق عميلية الملا جعفر وعبدالرسول ـ معتمدة في المخا ـ كان يحصل على الكثير من المعلومات السرية الخاصة بالسلطنات وشمال اليمن . وكان احسن مخبريه يهود عدن الذين كان لهم اقارب منبثون في الكثير من القرى والمدن اليمنية . فقد كان هؤلاء يوافون اقاربهم في عدن عن طريق لغتهم العبرية بمعظم ما يحدث من اسرار دقيقة في داخلية البلاد. وكان هينس نفسه مولعا بالسرية باعماله ونواياه بحيث لا يعرفها اقرب مقربيه . ولما ضج الاهالي بالشكوى من مؤامرات وظلم وفساد مساعده وخادمه السابق ـ الملا جعفر امرت بومبي عام ١٨٤٤ بطرده من وظيفته التي كانت اساسا هي وظيفة المترجم والمعتمد المحلي ولكنها جعلته بالفعل المسيطر على كل صغيرة وكبيرة في عدن واكبر مرتش ومهيمن على مصائر السكان . وعندما رأت بومبي تكرر شكوى الاهالي حتى بعد طرده من وظيفته اضطرت الى ان تأمر بتسفيره من عدن .

في ايام هينس كان التركيز الاعظم على اعادة بناء تحصينات المدينة وذلك من اجل صد هجمات اليمنيين المتكررة ضد الوجود البريطاني التي استمرت طيلة فترة حكمه . ونتيجة لذلك اصبحت عدن قاعدة حربية حصينة ولكن على حساب ازدهارها التجاري .. فقد اكتفى الانجليز من الناحية الاقتصادية في ان تبقى عدن في تلك الفترة شبه تابعة لقرن افريقيا وبالذات للمعرض التجاري السنوي في بربرة حيث كانت عدن تشتري تقريبا كل ما يباع اثناء انعقاد الموسم هناك ، ومالم يبع في المعرض كان التجار يحضرونه اليها فيما بعد . ولم تستطع عدن ان تجذب اليها التجار الاجانب الا بعد الخمسينات من القرن التاسع عشر . كما ان محاولات هينس المتكررة للقضاء على تجارة المخا بسحب رساميلها وخبراتها التجارية والفنية كانت تبوء بالفشل . ولم تتحول التجارة والمهارات الفنية والعمال من المخا الى عدن الا بعد الاحتلال العثماني لتهامة بعد عام ١٨٤٨ . فبعدئذ بدأت عدن تزدهر على حساب المخا .

وبدلا من ان تصبح الحامية العسكرية عاملا حماية لازدهار وانتعاش الحياة الاقتصادية في عدن اصبح نشاط المجتمع التجاري كله موجها ومجندا لخدمة الحامية العسكرية البريطانية معظم الانشطة الاقتصادية كانت تدور حول تنفيذ المقاولات لتزويد الحامية بمحتاجاتها من مؤن او اغذية او خدمات او الاعمال الحكومية كبناء التحصينات وغيرها . وكان هينس يستغل اعطاء المقاولات لعملائه وافراد شلته بينما تفعل الحامية العسكرية نفس الشيء لمقربيها . وقد شجعت الحكومة نظام المقادمة بحيث اصبح توفير العمال لا يتم الا بواسطتهم وبذلك زادت من نفوذهم .

وبسبب ان معظم الحركة الاقتصادية كان مرتبطا بنشاط الحكومة ايام هينس فقد انعكست سياسة السلطة البريطانية بوضوح على التركيب السكاني للمستعمرة . فمنذ عام ١٨٤٢ كان ربع السكان هم افراد الحامية العسكرية واتباعهم . اما اليمنيون فقد كان منهم سكان عدن الاصليين في عام ١٨٤٩ـ(٩٨٥) شخصا فقط . وقد جاء عدد كبير منهم من داخلية البلاد وكانوا يسمونهم بـ « الجبالية » والباقون من المخا بعد تدهورها . وقد زاد عدد الاخيرين على السكان الاصليين للمدينة . والواقع انه بعد ١٩٤٦ فقد اقترنت سياستهم التوظيفية باستجلاب العمال من الهند فاصبحت عدن هندية اكثر منها عربية . ففي عام ١٨٤٩ انخفض السكان العرب الى اقل من النصف بينما زاد الهنود اكثر من ضعفين واصبحوا يكونون ٤٠٪ من سكان المدينة وبعدهم كان يأتي العرب ثم الجاليتان الصومالية واليهودية . وهكذا بما ان سكان عدن كانوا يفتقرون الى التجانس فلم يكن لدى هينس ادنى خوف من انتفاضاتهم الداخلية . فقوة البوليس كانت كلها هندية وكذا شاغلو الوظائف الحكومية . ومجمل القول انه عندما غادر هينس عدن عام ١٨٥٤ كان نشاط المدينة يدور حول الجماعات الثلاث التالية تقريبا وهي : الجالية الهندية القديمة المشتغلة بالتجارة ، ثم الحامية العسكرية والجالية الهندية التي تخدمها ، واخيرا تلك العناصر العربية المرتبطة بالبريطانيين وبحاميتهم .

III. British Aden and South Arabia: Conflict and Compromise (1839-1854)

٣ ـ عدن البريطانية وجنوب الجزيرة صراع وتسوية ١٨٣٩ـ١٨٥٤ :

منذ البداية كان هم هينس هو تأمين وصول المؤن والبضائع من الداخل الى عدن . لذا كان اهتمامه البالغ بالقبائل اليمنية التي تمر عبرها القوافل ودفعه المشاهرات لسلاطين وامراء تلك المناطق مباشرة بعد الاحتلال . وكانت السلطنتان الرئيسيتان في شمال وشرق عدن هما لحج والفضلي .

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

وتأتي بدرجة اقل مشيخة العقربي في غرب المستعمرة . اما بالنسبة للقبائل الكبيرة المحاربة مثل العوالق ويافع فكانتا في الواقع بعيدتين عن عدن . الا ان اهم ما كان يميز هاتين القبيلتين ، عبر تاريخهما الطويل ، هو استعدادهما للتجنيد بالمقابل مع اي قوى مجاورة داخل اليمن او خارج الجزيرة العربية كما فعلت مع الائمة والاتراك وآل كثير وحتى نظام حيدر آباد في الهند . وفي اواسط اليمن اقام هينس علاقة مع الشيخ الشرجبي الذي كان يسيطر على لواء تعز والحجرية من اجل تحويل تجارة البن الى عدن بدلا من المخا . وكيفما كان الامر فقد بقيت لحج هي محور علاقة الانجليز بجميع النواحي المحيطة بعدن . فقد قام الانجليز بعد الاحتلال بتوقيع اتفاقية صداقة في ١٨ يونيو ١٨٣٩ مع السلطان محسن سلطان لحج ثم بمقتضاها رصد الانجليز مرتب سنوي للسلطان . الابان تلك العلاقة الحميمة سرعان ما تدهورت بعد ان اكتشف السلطان تآمر هينس مع بعض اقاربه للاطاحة به وهم ابنه احمد ومستشاره حسن عبدالله عاطف وقريبه السيد محمد حسين . لهذا فقد قامت القبائل اللحجية بعدة حملات بين عامي ١٨٣٩ و١٨٤٠ ضد عدن وكان يصل عدد المقاتلين في كل حملة الى حوالي خمسة آلاف مقاتل . الا انه بسبب التحصينات العظيمة لمدينة عدن ونوعية الاسلحة التي كان يستخدمها البريطانيون بالاضافة الى معرفتهم نوايا الحملات اليمنية وتحركاتها مسبقا بواسطة جواسيسهم في لحج فلم ينجح اليمنيون في استرداد عدن منهم على الرغم من استشهاد المئات من اليمنيين على ابوابها . ثم قام اليمنيون بفرض الحصار الكامل على عدن مما جعل الانجليز يفكرون جديا في فترة من الفترات في الجلاء عنها نهائيا . ولم تقتصر الحملات على القبائل اللحجية بل سرعان ما انظمت اليها القبائل الفضلية والعقربية معلنين الجهاد ضد الانجليز . ثم زادوا من احكام الحصار الاقتصادي على عدن وذلك بتحويل القوافل التجارية الى ميناءي الفضلي والعقربي في كل من شقرة وعدن الصغرى على التوالي . فقام الانجليز بحملة انتقامية فجائية مسائية على قرية الشيخ عثمان الواقعة في مفترق الطرق المؤدية الى عدن وحطموا قلعتها . ثم ضربوا الحصار البحري على كل من شقرة وعدن الصغرى . وقد وصلتهم عام ١٨٤٣ اول قوة خيالة لاستخدامها في الداخل .

وبالنسبة لشمال اليمن فقد حاول هينس استغلال وضع الامام السيء في صنعاء بسبب فقدانه معظم المناطق للشريف حسين بن علي حيدر المسيطر على المخا وتهامة . لذا فقد شجع على التعويض عما فقده بالهجوم على لحج والاستيلاء عليها . الا ان الامام نفسه كان في حاجة لمساعدة هينس للقضاء على منافسة شريف المخا . وقد عرض الامام على هينس تنازلات هامة فيما لو قدم الاخير المساعدة الحربية الفعالة بما في ذلك استعداده تسليم الانجليز المخا وتهامة وتعز الحجرية . وبالطبع لم يكن باستطاعة هينس تقديم اي عون حربي للامام وانما كان همه تشجيعه على غزو لحج ليضمن سلامة عدن من تهديد القبائل المجاورة . هذا والجدير بالذكر ان المقاومة اليمنية للاحتلال البريطاني لعدن لم تقف عند القبائل المجاورة لعدن وانما امتدت الى شمال اليمن واواسط الجزيرة . ففي عام ١٨٤٦ قام زعيم ديني في المخا هو السيد اسماعيل بن حسن الحسيني يدعو الى الجهاد ضد المستعمرين الانجليز في عدن . واهم ما ميز حركته تلك هو انضمام الكثيرين من الطبقات الدنيا اليها ، اما الامام الزيدي وشريف المخا فلم يقدما لها اي عون . وفي طريق الحملة الى عدن انضم اليها آلاف المقاتلين من القرى والمدن اليمنية ، كذلك كتكتيك وخوف من الحملة وصاحبها تظاهر سلطان لحج بتنازله المؤقت عن سلطاته عندما وصلت الى لحج . وفي النهاية لم تحقق الحملة اهدافها الاساسية اذ ان المعارك وتفشي الاوبئة قضت على الكثيرين من مقاتليها كما تم اغتيال رئيسها .

تم توفى سلطان لحج عام ١٨٤٧ وخلفه ابنه احمد الذي سبق ان راينا يتآمر مع هينس ضد والده مما كان السبب في الحملات العبدلية على عدن . وبارتقاء السلطان احمد تحسنت العلاقة بين هينس والسلطان العبدلي الجديد بل ودعم هينس وضع السلطان احمد الى اقصى الحدود واصبح عبدليا اكثر من العبادل . وقد عامله بقية فترة حكمه كانه « نواب » من « نوابات » الهند . كذلك شجعه على توسيع زراعة الخضروات واعطاه الامتيازات وحيد لبيعها على الحامية العسكرية البريطانية . ثم جعل دفع المشاهرات لبقية سلاطين الجنوب ، فيما عدا السلطان الفضلي ، تتم عن طريقه وذلك كي يزيد

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

من نفوذه بينهم . ثم اعطى هينس الان السيد عليوي بن زين العيدروس ، ذا النفوذ الكبير في البلاط اللحجي ، احتكار بيع الماء من الحسوة، في مشيخة العقربي ، على المستعمرة . وقد بقيت هذه هي سياسة هينس مع خلف السلطان بعد وفاته . ومع ذلك فان المقاومة الشعبية لم تخمد نتيجة تحسن العلاقة البريطانية / العبدلية. فقد وقعت حوادث قتل فردية لعدد من المسؤولين والضباط الانجليز الذين كانوا يترددون على المناطق المجاورة في لحج والعقربي والفضلي . ومن جديد رفعت الدعوة الى جهاد « الكفار » في عدن . فقام الانجليز بضرب مينائي الفضلي والعقربي ثم جندوهم ولحج خمسة آلاف عولقي للقيام بالغزو والهجوم على منطقة ابين وتدمير مزارعها . وقد تم الهجوم العولقي عام ١٨٥٤ وخلال هذه الفترة دعم هينس السلطان العبدلي لكي يسيطر الاخير على كل انشطة عدن الاقتصادية والتجارية مع الارياف وقد انشأ السلطان قوة من المرتزقة زادت عن (٤٠٠) مسلح لحماية الطرق المؤدية من عدن واليها . وفي احدى المرات بلغ حرس قافلة واحدة مكونة من ٦٨٦ جملا والفي مسلح منهم ٥٠٠ راكب والـ (١٥٠٠) الباقين من المشاة .

وكانت نهاية هينس تهمته من قبل حكومته باختلاس اموال الدولة . فقد وجدت لجنة فحص الحسابات عدن ارسلت خصيصا من الهند بأن مبلغ ٢٨٫٠٠٠ جنيه قدفقد منخزينة المستعمرة. واشارت الادلة بأن هينس كان هو المختلس . فمثلا وجد انه في بعض الفترات كان يقوم بتحويل مبالغ الى بريطانيا اكثر بكثيرمن مجموع ما يتسلمه خلال تلك الفترة من مرتبات . فامر بالسفر الى الهند وفي يوليو ١٩٥٤ مثل امام محكمة في بومباي بتهمة الاختيال والاختلاس . وقد صدر عليه الحكم في ان يعيد المبالغ المفقودة لانه سبق وعرض قبل المحاكمة استعداده دفع كل المبالغ المفقودة. ولما امتنع بعد الحكم عن دفع ذلك امر اللورد الفيستون بطرده من وظيفته ووضعه في حبس الدين بعد ان قال كلمته المشهورة بأن هينس كان « وغدا » بالفعل . وقد فضل هينس الحبس على ان يدفع شيئا من ماله . وقد اطلق سراحه قبل ايام من وفاته .

٤ ـ تقاسم الرخاء الاقتصادي :

IV. Shares in Prosperity.

بعد هينس عين الكولونيل جيس اوترام معتمدا سياسيا لعدن . وبسبب علاقات اوترام الوطيدة مع كبار المسؤولين في لندن والهند وشهرته كأحد كبار واضعي الاستراتيجية لمنطقة الشرق الاوسط ، فقد استطاع ان يربط عدن ربطا كاملا ضمن النظام الاداري لشركة الهند الشرقية . وتعتبر اهم اعماله هو قيامه بتعيين موظفين بارزين في الوظائف القيادية لعدن امثال مساعده المشهور بليفر ـ الذي الف اول كتاب ثم هرمدز رسام المسيحي العراقي الذي اصبح فيما بعد الشخص المسؤول عن وضع تنفيذ السياسة البريطانية المتعلقة بالارياف . وقد حافظ المقيم السياسي الجديد الكولونيل كوغسلان (١٨٥٦ ـ ١٨٦٢) على بقاء هؤلاء الرجال في مناصبهم القيادية . ومنذهذه الفترة بدات الاحداث تدريجيا تقرب عدن الى مركز الاضواء وتبرزها كنقطة حيوية ضمن محورالاستراتيجية البريطانية وبانها القاعدة الهامة على مدخل البحر الاحمر . ففي ذلك الحين بدات المنافسة البريطانية الفرنسية فاستولى الانجليز على جزيرة ميون عام ١٨٥٦ خوفا من وقوعها بيد منافسيهم . فقام الفرنسيون في الاستيلاء على جزيرة اوبوك عام ١٨٦٢ على الساحل الصومالي المقابل . وكيفما كان الامر فان حمى المنافسة بين الدولتين كان جزءا من المناورة الدبلوماسية المرتبطة بمشروع حفر قناة السويس . ثم ازدادت اهمية عدن في اواخر الستينات لانها اختيرت لتكون القاعدة المتقدمة خلال الحملة ضد الاثيوبيين في ١٨٦٧ـ ١٨٦٨ .

وفي عهد المقيم السياسي الجديد الكولونيل ميرويدر (١٨٦٣ـ١٨٦٧) زاد بناء الثكنات العسكرية وكذا فنار السفن في راس معاشيق والجسر العسكري فوق باب عدن وسكرتارية المستعمرة في التواهي ، كما ربطت مدينة كريتر بالتواهي بطريق وصلت الى راس طارشين .وكانت اهم الانشاءات التي بدى العمل به هو مشروع المياه في الشيخ عثمان وحملها بواسطة قناة طولها ستة اميال الى قرب جبل حديد . فقبل تنفيذ هذا المشروع كانت مشكلة مياه المستعمرة هي القضية الكبرى وكانت المياه توزع على الاهالي

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

بالبطاقة فمثلا كان العامل يستطيع ان يشترى بكل راتبه الاسبوعي أقل من (٥٠) غالونا من الماء فقط .

بعد افتتاح قناة السويس زادت اهميةعدن واصبحت مدينة التواهي هي الميناء الرئيسي . وقد توسعت التواهي بالذات في السبعينات وكانت اهم الانشطة الاقتصادية هي التجارة وتزويد السفن بالفحم والمؤن ثم المعاقدات التجارية والانشائية مع حكومة المستعمرة وحاميتها . وقد بقي هذا النشاط الاخير هو اهم الانشطة الاقتصادية وارتبط اساسا بثلاث شخصيات فارسية هي ادلجي مانوجي وكاوجي دنشو وحسن علي رجب علي (صهر عائلة الملا جعفر) وكل هذه العائلات الثلاث كانت لها ارتباطات بالمسؤلين الحكوميين . ومن الناحية الادارية فقد تضاعف عدد الادارات ورصدت لبعضها الاموال المستقلة الا ان اهم التغيرات الادارية كان بروز « الدائرة العربية » التي اصبحت مختصة بالشؤون القبلية . وكان محركها الفعلي عند انشائها مترجما رسام العراقي وكذا القسيس بدجر . وفي أيام هذين الشخصين بلغ السيد علوي بن زين العيدروس ذروة مجده ونفوذه واصبح الواسطة بين القبائل وحكومة عدن . الا انه بسبب سوء العلاقة لفترة وجيزة بينه وبين سلطان لحج ، نتيجة محاولة المقيم السياسي البريطاني الاتصال المباشر بالسلطان ، فقداستطاع السيد العلوي ان يؤزم العلاقة الانجلو / عبدلية، وفي المقابل سعى لاقامة علاقة مباشرة بين الانجليز وبين عدوى سلطنة لحج الفضلي والعقربي . فقام سلطان لحج بفرض الحصار الاقتصادي على عدن ومنع وصول بعثة امامية من صنعاء اليها . ولم تعد المياه الى مجاريها الا بعد أن تزوج السيد عيدروس بأخت سلطان لحج ومن ثم عادتسياسة بريطانيا القبلية ترسم بمشاركة لحج . ومنذ أن عين مير ويثر كمقيم سياسي عام ١٨٦٤ اتبع سياسة جديدة في ارياف وفي نواحي عدن تقضي بالتدخل المباشر فيها . وقد استمرت هذه هي السياسة المعتمدة طيلة عقد من الزمن وانتهتعام ١٨٧١ بمشروع بريطاني جزئي لجعل لحج تحكم مباشرة من عدن .

(١) وارد عدن من الداخل ٨/١٨٦٧

البضاعة :	النسبة من الجملة
بن	٢٩ر٥
حبوب	١٦ر٦
مواشي	١٥ر٦
علف	٩ر٢
اخر	٩ر١
قات	٦
زعفران	٤ر٥
حطب	٤ر٤
سمن	٢ر٦
فواكه	٢ر٦

(٢) تجارة عدن البحرية : الواردات والصادرات (خلال ١٨٤٣–١٨٦٨)

السنة :	القيمة (الاف الروبيات)
٤١/١٩٤٣	١ر٥٨٧
٦/١٩٤٥	٢ر٣٠٨
٨/١٩٤٧	٢ر٣٨٣
٥٠/١٩٤٩	٢ر٣٦٩
٥٢/١٩٥١	٥ر٠٣٢
٥٤/١٩٥٣	٦/١٧١
٥٦/١٩٥٥	٦ر٦١٣
٥٨/١٩٥٧	١١ر٤٥٥
٦٠/١٩٥٩	٩ر٨٤٠
٦٢/١٩٦١	٨ر٢٥٩
٦٤/١٩٦٣	١٢ر٨٢٩
٦٦/١٩٦٥	١٢ر٧٠١
٦٨/١٩٦٧	٢٧ر٦٣١

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

في اواخر الستينات من القرن التاسع عشر اصبح معظم (بن) الحجرية يأتي الى عدن ليتم تصديره من هناك . واصبحت كمية البن الواردة تكون حوالي ثلث جميع واردات عدن من السلع الاخرى من الارياف وشمال اليمن . وقد اصبح السلطان فضل محسن يجني ارباحا طائلة من جراء الضرائب التي كان يفرضها على البن والواردات الاخرى المارة في بلاده الى عدن . وقد كان ثلثا موارد الخزانة السلطانية تأتي من معاملة لحج التجارية مع عدن. فقد اصبح السلطان فضل محتكرا كبيرا ومتعاقدا من عدن لتموينها بالخضروات ومياه الشيخ عثمان والحشائش واعلاف المواشي والملح والايدي العاملة. بل وقد بلغ به شره المال الى التفكير في احتكار شراب الطارىء المسكر المستخرج من نخيل لحسوه وتموين عساكر الاحتلال بهذا المسكر لولا خوفه وخجله من شعور رعاياه المسمنين .

ولم يتوقف دعم الانجليز للسلطان فضل من الناحية الاقتصادية فقط بل انهم ساعدوا على ضرب سلاطين الفضلي والحوسبي والعقربي . ففي عام ١٨٦٥ قام بحملة مشتركة مع الانجليز لاخضاع منطقة الفضلي في ابين وبعد تدمير الكثير من الاماكن بقيت الحملة تحتل المنطقة (١١) يوما . ثم كانت هناك حملة ثانية عام ١٩٦٦ لتحطيم (شقرة) ميناء الفضلي . وقد ساعد الانجليز سلطان لحج بتجنيد مرتزقة لصد الهجمات العولقية ضد بلاده . وبعد الانتهاء من ضرب الفضلي ساعده الانجليز على ضرب جاره في الشمال سلطان الحواشب . وقد ركزوا حملتهم على القرية الاستراتيجية زائدة والاراضي الخصبة المحيطة بها . فقد كانت زائدة هي المفتاح لكل النظام الزراعي في لحج . واخيرا توجهت الحملات اللحجية لضرب مشيخة العقربي . وبالطبع لم يكتف السلطان فضل محسن بمغامراته القريبة هذه بل ذهب به طموحه الى ما وراء الامارات والسلطنات الى تعز والحجرية في شمال اليمن . فقد قدم عام ١٨٧١ للانجليز مخططا من اجل احتلال تلك المناطق من حكامها الائمة ووعدبتقاسيم تلك المناطق « الشافعية » معهم بعد احتلالها . وفي هذا الصدد وجد مغامرا عولقيا هو محسن العولقي احد الضباط الاثرياء في بلاط نظام حيدر أباد والذي كان نفسه يبحث عن امتلاك جزء من اليمن ليكون منه اقطاعية بأرضها ورجالها ونسائها وبيوتها خاصة به وبذريته من بعده . وقد قدم هذا المغامر العولقي للسلطان مبلغ ١٢٥٫٠٠٠ ريال لتجنيد المرتزقة لتحقيق مخطط الاستيلاء على تعز والحجرية . هذا وفي الوقت الذي كان فيه السلطان فضل محسن يدير المؤامرات بمساعدة الانجليز لاحتلال مناطق يمنية خارج لحج كانت بومبي ترسم خططها للاستيلاء على منطقته ذاتها وادخالها ضمن نفوذ عدن المباشر . وقد قدم المشروع عام ١٨٧١ الى حكومة الهند المركزية ولكنها لم توافق عليه .

وقد دعم الانجليز سياستهم في الارياف عن طريق جهازين رئيسيين هما القوة العسكرية الجديدة للارياف المعروفة بخيالة المجراد والتي اتوا بها من الهند فكانت مهمتها القيام بجولات استطلاعية متكررة الى الارياف ودراسة احوالها العسكرية والاستراتيجية . واما الاداة الثانية التي كانت هي المخططة والمنفذة للسياسة القبلية فهي (الدائرة العربية) التي وسعت كثيرا بعد مغادرة رسام العراقي واصبحت اهم ادارة حكومية خاصة بعد انشاء عام ١٨٦٩ دار الضيافة الملحق بها والتي اصبحت تطبخ فيه سياسة الانجليز مع القبائل المجاورة لعدن . وقد ارتبط توسع الدائرة ببروز احد احفاد الملا جعفر هو صالح جعفر الذي بدأ حياته كمترجم محلي ثم اصبح المترجم الاول والمشرف على دار الضيافة . وقد اصبح بالفعل ــ ومن بعده ابنه خلال الثلاثين سنة المقبلة ــ هو الصانع والقابض على شؤون الارياف . وبالطبع لم يبزغ نجمه الا بعد ان تآمر مع السلطان فضل محسن من اجل القضاء على نفوذ منافسه علوي ابن زين العيدروس .

٥ ــ التدخل التركي وبداية الحماية

V. Turkish Intervention and the beginning of the Protectorate.

في عام ١٨٧٢ وعندما كانت سياسة الحركة الى الامام « في ذروتها وجد الانجليز انفسهم فجأة امام وضع جديد وذلك بسبب بروز قوة جديدة في شمال واواسط اليمن هم الاتراك العثمانيون الذين عادوا ثانية لاحتلال اليمن . ففي السابق لم تكن القوى السياسية المحلية الموزعة والمقسمة في شمال البلاد تهدد مناطق نفوذ الانجليز في السلطنات والامارات . كذلك فضعف القاعدة الاقتصادية وانتشار الامراض والفوضى والمجاعات في شمال اليمن كانت كلها في صالح الانجليز .. اما الان فقد

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

وجدوا انفسهم وجها لوجه امام دولة مستعمرة كبرى . وفي بداية الامر كانت سياسة بريطانيا تجاه هذا الطارىء الجديد غير ثابتة ، فالواقع انهم كانوا ينظرون في أول الامر الى تحركات الاتراك بعين الرضا تحسبا ان وجود سلطة مركزية شمالهم ستكون افضل من الاوضاع السابقة المشتتة . الا انهم سرعان ما بداوا يتلمسون مكامن خطر الجار الجديد . فصديقهم الاول سلطان لحج قد جاء مذعورا الى المقيم السياسي البريطاني الماجور شنيدر (١٨٧٢–٧٧) وهو يحمل اوامر الباشا التركي في الذهاب اليه حالا الى صنعاء. ومن اجل ان يحمي نفسه من الاتراك عرض وضع بلاده تحت الحماية البريطانية . وبدا الاتراك في التوغل داخل الامارات والسلطنات فيكتسحون مناطق الاميري والعلوي والحوشبي ثم يعيدون الزائدة الى سلطانها الحوشبي . ومن الحواشب بداوا يهددون سلطنة لحج ويقفون مساندين احد افراد العائلة العبدلية المطالب بالسلطنة بدلا من سلطانها القائم وقتذاك .

وبدات الحكومة البريطانية ترسم الخطط لتفادي ،ثم ازالة الخطر التركي فدخلت فيمخابرات مع الباب العالي في القسطنطينية . ولما رات الخطر التركي يهدد بالفعل سلطنة لحج انذرتالقسطنطينة بامكانية وقوع الحرب بين الدولتين .. وفي ٢٤ اكتوبر ١٨٧٣ اصطحب المقيم السياسي البريطاني قوة بريطانية ضاربة لاخراج الاتراك من لحج ... وبعد ان واصلوا ضغوطهم تم اجلاء القواتالعثمانية من سلطنات الحواشب والاميري والعلوي . وبعد اجلاء العثمانيين قام شنيدر بالانتقام بشدة من السلاطين الاخرين الذين مالوا الى الاتراك وكانوا اعداءا لسلطان لحج . ثم رسموا خارطة سياسية للامارات والسلطنات المحيطة بعدن وطلبوا من تركيا ان تعتبرها تحت نفوذهم وان لا تتدخل في شؤونها . ومنذ تقديم مشروعهم ذاك عام ١٨٧٣ اصبحت تلك المناطق تعرف بـ « النواحي التسع» وهي : العبدلي ، الفضلي ، العولقي (بالطبع فدمينة والعواذل كانت تتوزع بين العولقي والفضلي) اليافعي ، الحوشبي ، الاميري (اي الضالع) ، العلوى ، العقربي ثم الصبيحي . لقد كان غرضهم الاساسي هو تحديد الامارات المجاورة الهامةلحماية قاعدتهم في عدن . فمن الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية فالامارات الثلاث الهامة لهذا الغرض هي فقط الفضلي ولحج والعقربي . الا ان المسالة في النهاية اصبحت تخطيطا يخدم حاجة خليفتهم الكبرى لحج وليست حاجة عدن . ولهذا كانالكيان الذي حددوه « لتسع نواحي » بدلا من ثلاث هو في الواقع تخطيط سياسي لتعميق الوحدات الانفصالية الصغيرة التي انفصلت عن الحكمالمركزي في صنعاء في القرن الثامن عشر لتصبح في وحدة سياسية واحدة تحت نفوذهم .

وفي الوقت الذي نجد بريطانيا تستميت في دحر النفوذ العثمانيوتحافظ على «الوضعالسابق» لجنوب الجزيرة قبل التدخل التركي هناك نراها تتبع سياسة مغايرة تجاه ساحل افريقيا المقابل لقلعتها العسكرية في عدن . فعلى الرغم من مد الحكومة المصرية فيما بين عامي (١٨٦٧–١٨٧٥) نفوذها الفعلي الى الصومال فان ذاك العمل لم يحرك مخاوف بريطانيا بل اعتبرت الامتداد المصري الى سواحل افريقيا والبحر الاحمر في خدمة استراتيجيتها لانها وقتذاك كانت تنظر الى مصر تحت الخديوي نظرة رضا وتشجيع تمردها على تركيا . وهكذا يمكن القول بان قرارات انشاء بريطانيا الحماية الدبلوماسية على منطقة جنوب اليمن ، مع التخلي المؤقت عن منطقة نفوذها على الساحل المقابل في افريقيا ، تعتبر جزءا لا يتجزا من سياستها الاستراتيجية الجديدة في الشرق الاوسط وقتذاك . ففي السبعينات من القرن الثامن عشر كان اتجاه السياسة البريطانية هو تخليها عن المحافظة على السيادة العثمانية وفي الاهتمام بمصالحها الاقليمية المحدودة فبعد عام ١٨٧٨ لم تعد بريطانيا تتظاهر بتقديس سيادة الامبراطورية العثمانية امام منافسيها من الدول الكبرى .

وبقدر ما نشطت (الدائرة العربية) في تلك الفترة في ربط سلاطين الجنوب الى عجلة السياسة البريطانية عن طريق استضافتهم ومنحهمالمرتبات مباشرة او لحاملي رسائل توصياتهم ، كذلك فقد اتبع المقيم السياسي سياسة لين تجاه سلطاني الحواشب والفضلي . فقد اعيدت لسلطان الحواشب عام ١٨٨١ بعض اراضيه التي اغتصبها سلطان لحج . وبالنسبة لسلطان الفضلي فقداصبح صديقا حميما للانجليز وعند وفاته قاموا عام ١٨٧٧ باختيار السلطان الجديد وقضوا بواسطة (خيالة المجراد) على تمرد اخيه المنافس ونفوه الى الهند . وفي عام ١٨٨٠ حموا السلطنة من غزو عولقي محقق . وكان اخر ما عملوه للسلطنة هو تسوية مشاكل حدودها مع لحج .

سلطان ناجي
مؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

٦ ـ السلطنات الحضرمية ١٨٠٠ ـ ١٩٠٠

VI. The Hadhrami Sultanates 1800-1900.

واذا ما نظرنا الى المنطقة الشرقية من جنوب اليمن نجد ان الانجليز تقريبا قد حققوا في الثمانيات من القرن التاسع عشر ما كانوا قد حققوه في « النواحي التسع » من فرض لهيمنتهم على تلك المنطقة . فالسمة البارزة في تاريخ حضرموت كما هو معروف هو هجرة اهاليها القديمة والواسعة الى الهند وجزر الهند الشرقية والسواحل الافريقية . فبسبب ان جزءا لا بأس به من المهاجرين كانوا من السادة والنخبة المتعلمة فقد اصبح لهم نفوذ ديني وسياسي وتجاري واسع في تلك البلدان منذ العصور الوسيطة . وفي منتصف القرن التاسع عشر اصبحت اعداد كبيرة من المهاجرين توجد في ولاية حيدر آباد في الهند . فلكي يحافظ على كيانه في وجه كل من البريطانيين والهنود قام النظام بتجنيد جيشه من ابناء ملته المسلمين في جنوب الجزيرة خاصة من يافع وحضرموت . وبسبب شجاعة الجنود الجنوبيين اصبحوا قوة مهابة فوق القانون ومالكين للاقطاعيات الكبيرة هناك ... وكان البريطانيون يرهبون جنود النظام هؤلاء مما جعل رئيس المجلس الهندي يقول عام ١٨٥٤ بانهم « الشركة الكبرى في جنب بريطانيا في الهند » . وفي المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر اصبح ابرز واثرى ثلاثة ضباط (جمعدارات) في جيش النظام هم صالح بن عمر القعيطي ، وعبدالله بن علي العولقي ، وغالب بن محمد الكثيري. وقد اصبح الثلاثة منذ الاربعينات من القرن يتنافسون من اجل السيطرة على حضرموت لذا فقد ادخلوا اليها وسائل الحرب الجديدة . ونتيجة لحروبهم المستمرة بدات حضرموت تبرز على مائدة السياسة الدولية .

فبعد اجلاء الغزو العثماني الاول دخلت حضرموت مع بقية المناطق الجنوبية في القرن السابع عشر ضمن السلطة المركزية في صنعاء . وفي اواخر ذلك القرن ونتيجة لضعف وتدهور السلطة المركزية في صنعاء عادت تحت الحكم الكثيري فترة وجيزة ثم تفتتت السلطة الكثيرية ذاتها فتقسمت حضرموت منذ حوالي (١٧٣٠) الى وحدات صغيرة مشتتة سواء بسواء كالسلطنات الجنوبية . ومنذ ذلك الوقت وحتى مجيء القعيطي والكثيري من المهجر كانت المنطقة موزعة بين الاتحادات القبلية أو حكام المدن والمقاطعات من الكثيرين (وحلفائهم السادة) أو عائلات يافعية من نسل جنود يافع الذين استنجد بهم الكثيريون لدعم حكمهم في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وفي اوائل القرن التاسع عشر اصبحت اهم العائلات اليافعية المسيطرة على مينائي حضرموت في الشحر والمكلا هما عائلتا البريكي والكسادي .

ثم بدا الصراع بين الكثيري والقعيطي في منتصف القرن التاسع عشر فكون الكثيري جيشا من العبيد وجند القعيطي جيشه من يافع ومن الهنود . واصبح الحضارم منقسمين تقريبا بين القعيطي والكثيري وعمل كل من المتنافين للسيطرة على كل حضرموت . وفي ١٨٦٦ تحول الصراع من وادي حضرموت الى الساحل وذلك من اجل السيطرة على الميناءين . فاستولى الكثيري على الشحر ثم اتجه نحو الكسادي في المكلا مما جعل الاخير يستنجد بابن قبيلته الثرى القعيطي . وبعد ان انجده الاخير باربعة الاف مقاتل اتجهت القوة اليافعية الى الشحر فطردت الكثيري منها وسلمت للقعيطي بعد ان اعطى معاشا لحاكمها السابق البريكي . ثم هجم القعيطي مع الكسادي على تريم وسيئون ولكنهما لم يحققا شيئا . وبعد معركة الشحر بدات بريطانيا تساعد القعيطي اما الكثيري فقد اتجه بنصيحة السادة العلويين ، نحو الدولة التركية الاسلامية لتساعده في صراعه فقد كان العلويين لا يحبذون التحالف مع النصارع من الانجليز . وبالفعل ارسلت تركيا عام ١٨٦٧ بارجة حربية الى حضرموت واعلنت المنطقة جزءا من الامبراطورية العثمانية ومن ولايتها اليمنية . فقامت بريطانيا بمساعدة القعيطي والكسادي . وبعد مخابرات مع الباب العالي وافقت الامبراطوريتان على عدم التدخل في حضرموت وترك موضوع السيادة عليها معلقا .

ثم بدا الصراع ينشب بين حليفي الامس القعيطي والكسادي وذلك لمطالبة الاول من الثاني دفع ديون الحروب التي صرفها في حرب الكثيري عندما استنجد به الكسادي ووافق هذا على ان يدفع له نصف تكاليف حروبه . وكاد القعيطي ان يستولى على المكلا لولا ان هب العطا الثالث القادم من نظام حيدر آباد عبدالله بن علي العولقي لنجدة الكسادي . فقد سبق ان اشترى العولقي بامواله المجلوبة من الهند منطقة زراعية بين الشحر وغيل باوزير وبنى له هناك في الصداع حصنا

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

فحما كمقدمة لبناء دولة عولقية له هناك . وقد الجأت القوة العولقية الكسادية المشتركة القعيطي على الهرب من المكلا الى الشحر . وقد انضم الكثيري لمحاربة القعيطي . وفي الاخير استطاع القعيطي القضاء على العولقي وعلى احلام دولته العولقية في حضرموت .

واثناء ذلك الصراع الدائر في حضرموت كانت الاقامة البريطانية تدعو الى التدخل البريطاني في حضرموت كي يحسم الصراع لصالحها .. وبدأ تدخل بريطانيا بشكل وساطة بين القعيطي والكسادى . ولكن منذ عام ٨٧٧ بات واضحا ان ميول المقيم السياسي في عدن كانت مع القعيطي . وقد حاولوا ارغام الكسادى على بيع المكلا للقعيطي بمبلغ ٣٠٠،٠٠٠ ريال . ولما رفض الكسادى ذلك ارسلوا بارجة حربية للتعاون مع القعيطي في احتلال المكلا وقد استغلوا اعلان الكسادى ولاءه لتركيا ليرموا بكل ثقلهم بجانب القعيطي . وكانت مساعدتهم القعيطي مشروطه بدخوله تحت الحماية البريطانية . وقد تم لهم ذلك عام ١٨٨٨ وبذلك ضمنوا هيمنتهم على بقية ساحل جنوب الجزيرة نحو الشرق . وقد اصبح القعيطي حليف بريطانيا حتى نهاية الحرب العالمية الاولى . اما الكثيري فقد هددته بريطانيا بالضرب ان هو تمادى وتعدى على السلطنة القعيطية .

٧ ـ عدن القلعة العسكرية والنهوض التجاري

VII. Fortress Aden and Rising Commerce.

في الربع الاخير من القرن التاسع عشر اصبحت دول أوربية اخرى تملك الاساطيل الكبيرة وتنافس بريطانيا بل وتهدد مستعمراتها . لذا فقد اهتمت بريطانيا كثيرا بقواعدها المطلة على طرقها التجارية حول العالم وبالذات تلك التي على الطريق الشرقية خاصة بعد فتح قناة السويس . فقد قامت بتحصين قاعدة عدن تحصينا اكثر منه الدفاع عن تجارة المستعمرة . فلم يشرف القرن على الانتهاء الا وقد استبدلت الاسلحة القديمة التي كانت تحرس الميناء في راسي مربط وطارشين وحجيف بأسلحة جديدة ضخمة متطورة . كما جددت واصلحت جميع وسائل الميناء الدفاعية . وقد اصبحت عدن تعرف في تلك الفترة بين المؤولين البريطانيين وفي الوثائق البريطانية بـ « القلعة العسكرية » ومعنى ذلك انه اصبح يعطى لسياسة الامن العسكري الافضلية والاولوية على الاعتبارات الاقتصادية والتجارية للمستعمرة . فمنذ الاحتلال كان يعطى الاعتبار للناحيتين معا على الرغم من ان تعينات المقيمين السياسيين بعد هينس كانت من العسكريين للتأكيد على الطابع العسكري للميناء . وبعد أن اعلنت عدن ميناءا حرا عام ١٨٥٠ بدأت تجارتها في الازدهار .

الا انه من المصادفات الغريبة انه في الوقت الذي تحدد الطابع العسكري للمستعمرة كسياسة عامة للحكومة في تلك الفترة فقد وجدت عوامل ادخلت عدن في نشاط تجاري لا مثيل له . وكان مفتاح ذلك الازدهار التجاري هو فتح قناة السويس وزيادة استخدام الميناء لتزويد السفن بالوقود وكذلك بما تحتاجه السفن التجارية المتزايدة من مؤن وبضائع . الا انه في عام ١٨٨٣ برز منافس خطر لعدن تزويد السفن بالفحم هي جزيرة ميون التابعة لعدن ذاتها . فبسبب ماتتمتع به الجزيرة من ميناء طبيعي وبسبب موقعها الاستراتيجي على طريق جميع السفن المستخدمة مضيق باب المندب اضافة الى ان شركة فحم ميون كانت تتقاضى اسعارا اقل من عدن ، فقد كادت ان تقضي على شركات عدن مثل شركتي لوك توماس وكاوجي دنشو . وقد نشبت حرب معلنة بين الشركات الاحتكارية في كل من عدن وميون كما تبودلت الشكاوى والالتماسات مع لندن حول القضية ، وفي احدى المرات قامت احدى شركات عدن تهدد باحتلال الجزيرة فاجابت شركة فحم ميون بأنها لها بالمرصاد وانها ستقوم بتعطيل الملاحة في الميناء .

والواقع انه كانت هناك عوامل موضوعية ساعدت على تحويل الملاحة من عدن في الثمانيات من القرن ، فالميناء لم يكن معمقا تعميقا كافيا لترسو السفن فيه مما كان ينظرها لان ترسو خارجه وتنقل اليها حاجتها من الفحم بواسطة القوارب الى هناك مما كان يؤدي الى الاضرابات المتكررة لعمال شحن الفحم احتجاجا على المخاطر التي يقابلون من جراء عملهم في المياه العميقة الهائجة . وقد استغرقت فكرة مشروع تعميق الميناء كل الثلاثين سنة السابقة وتبودلت الرسائل المطولة بين عدن والهند ولندن دون التوصل الى نتيجة مرضية وذلك لعدم توصلهم تحديد الجهة التي ينبغي لها أن تتحمل تكاليف المشروع . ولما شعرت الشركات الاحتكارية في عدن بخطر منافسة ميون سعت سعيا حثيثا بواسطة نفوذها في كل

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

من ألهند ولندن للحصول على موافقة رسمية للاستيلاء على الاموال المجمدة التي كانت مرصودة للميناء وانشاء امانة الميناء كهيئة مستقلة تمثل فيها الشركات والتجار تكون من مسؤولياتها تعميق الميناء . فتم انشاء الامانة عام ١٨٨٨ وبعد التعميق الاولى واصلت الامانة في بداية القرن العشرين مزيدا من التعميق واستصلاح الكثير من الاراضي المغمورة لاستخدامها اماكن ومخازن للبضائع .ولم ينته القرن الا وقد اصبحت عدن مركزا هاما على الطريق الرئيسي للتلغراف . وقد ساعدت المواصلات التلغرافية في تنشيط الحركة التجارية .

وقد ادى توسع التجارة الى خلق الفرص الكثيرة للعمل . وكان المميز للنشاط التجاري في عدن هو وجود السماسرة والدلالين الكثيرين في كل الانشطة حتى في بيع الماء والغذاء . فمثلا الراس المستوردة من الماعز كان يمكن له ان يباع اربع مرات وهو في طريقه بين رصيف المعلا وباب عدن مسافة لاتزيد عن ميل وكل مشتر جديد كان يعد المشترى منه شفهيا بدفع الثمن له بعد وصوله المدينة . وهكذا يصبح الثمن الفعلي للماعز فمنه الحقيقي زائدا عمولة اربعة دلالين على حساب ارتفاع اسعار السوق . وكان تاتى على قمة النشاط التجاري الشركات الاجنبية من انجليزية وامريكية والمانية وفرنسية وايطالية وهندية وكلها مرتبطة بشركاتها الرئيسية في اوربا والولايات المتحدة وبومباي . وتحت هذه الشركات الاجنبية كانت تاتي فئة التجار الهنود والعرب . ومعظم العرب كانوا يتعاملون بتجارة البن ولكن بواسطة تلك الشركات الاجنبية التي كانت هي التي تتحكم في تسويقه. وفيما بين عامي ١٨٨١–١٨٩١ ارتفع سكان عدن من ٣٤٫٨٦٠ الى ٤٤٫٠٧٩ نسمة الا انه بسبب سياسة الحكومة البريطانية التي كانت تعتبر عدن « قلعة عسكرية » ليس الا فقد كان يضايق المسؤولين زيادة المكان في المستعمرة وكانوا ينظرون الى جزء كبير منهم بانهم «متشردين» ليس مستحبا من ناحية أمنية وجودهم بجانب المؤسسات العسكرية . وخلال العشرين سنة الاخيرة من القرن التاسع عشر كانت سياستهم هي تطهير غرب عدن في المعلا والتواهي من معظم السكان الا من يرون ضرورة وجودهم وكذلك تدمير كل العشش والاكشاك التي تأوى اولئك العمال . ونتيجة لهذه السياسة اشتروا عام ١٨٨٢ مدينة الشيخ عثمان من سلطان لحج ثم قاموا بطرد الزائد من السكان اليها . ومن ارادوا بقاءهم في التواهي قاموا بتسجيلهم فاصبح الدخول والخروج من التواهي عن طريق البطاقة .. وقد وصف احد التقارير نظام البطاقة هذا بانه « اداة ظلم عظيمة» لقد كانوا يغلقون القهوات التي يؤمها العمال ويكسرون العشش التي يسكنونها ثم تفتح القهوات وتركب العشش من جديد فيعودون لاغلاقها وتكسيرها وهكذا دواليك .

لقد كانت الحاجة الى العمال تزداد عاما بعد عام . فاكثر من الالف كانوا يستخدمون في اعمال التحصينات واعداد كبيرة اخرى كان يحتاج اليها في اعمال شحن الفحم او لتصديرها الى ميون والساحل الصومالي . ومع كل ذلك بقيت اجور العمال عام ٩١٤ هي نفس اجور عام ١٨٤٠ . والسبب في تجميد الاجور كل هذه المدة ٧٤ عاما هو نظام المقادمة . فتزويد الشركات بالعمال كان يتم بواسطتهم وحتى اسكانهم واطعامهم كان ايضا يتم بواسطة صغار المقادمة . فبالاضافة الى ان هؤلاء المقادمة أو (الصرنجات) كانوا يحتكرون توفير العمال ويعيشون عالة عليهم فقد كانوا يعملون على ان تزويد العمال يستجيب تماما للعدد المطلوب بحيث لا ترتفع اجورهم من جراء مبدا العرض والطلب . وكانت هذه الطريقة في استغلال العمال تناسب اصحاب العمل والشركات.

وفي مجال التعليم فقد حاول الانجليز عام ١٨٥٦ انشاء مدرسة للعلوم العربية على اساس اجتذاب ابناء الامراء في الداخل وتدريب الموظفين الصغار كاتباع للمعسكر البريطاني . ولكن المدرسة اغلقت بعد سنتين من افتتاحها . وفي ١٨٦٦ انشأوا مدرسة لتعليم الانجليزية واخرى لتعليم القرآن ثم اضافوا عام ١٨٧٩ مدرسة عربية ثالثة في المعلا ثم رابعة في التواهم عام ١٨٨٠ .. وفي العقدين الاخيرين من القرن انشأوا مدرستي تبشير كاثوليكيتين . وفي عام ١٨٩٧ عندما منحت الاعانة للمدارس الاهلية بلغ عدد الطلبة ٧٦٨ طالبا ٢٥٦ منهم كانوا يتلقون تعليمهم في المدرسة العربية الحكومية . وكان مجموع الطلبة العرب اقل من النصف . وفي اخر القرن التاسع عشر كان العرب يكونون نصف سكان عدن ومعظمهم جاء من الحجرية والبيضاء وبقية اجزاء اليمن . اما الذين جاءوا من الارياف المجاورة فكانوا اقلية وذلك لان العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في هذه الفترة بين عدن والامارات كانت اضعف من العلاقات السياسية بينهما .

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

سكان عدن خلال القرن التاسع عشر

السنة	عرب	صومال	يهود	هنود	اوربيون	اخرون	المجموع
١٨٣٩ (مارس)	٦١٧	٦٣	٥٧٤	٣٥	—	—	١ر٢٨٩
١٨٣٩ (اكتوبر)	—	—	—	—	—	—	٢ر٨٨٥
١٨٤٠ (ابريل)	—	—	—	—	—	—	٤ر٦٠٠
٨٤١	٧ر٢٦٢	—	٢٧٧	٢٠٧	—	—	٨ر٢٤٦
١٨٤٢ (ابريل)	٩ر٠٧٨	٢ر٦٠٠	١ر٠٦٠	٣٢٠	—	—	١٣ر١٠٨
١٨٤٢ (نوفمبر)	١٢ر١٧٠	٢ر٠٥٠	١ر٠٧٩	٤٨١	٧٤٧	—	١٦ر٥٢٧
١٨٤٩	٤ر٨٤٥	٢ر٨٧٧	١ر١٥٠	٧ر٦٠٥	٧٧٨	١ر٨٦٨	١٩ر٠٢٤
١٨٥٦	٤ر٨١٢	٢ر٨٩٦	١ر٢٢٤	٨ر٥٦٣	٧٩١	٢ر٤٥٢	٢٠ر٧٣٨
١٨٦٧	٩ر٣٥٠	٣ر٣٨٧	١ر٢٧٥	٢ر٣٠٨	٤٩	١ر١٧٧	١٧ر٥٤٦
١٨٧٢	٨ر٢٤١	٥ر٣٤٦	١ر٤٣٥	٣ر٥٨٩	٢٠٨	٤٧٠	١٩ر٢٨٩
١٨٨١	١٣ر٢٨٥	٩ر١٥٠	٢ر١٢١	٧ر٢٦٥	٢ر١٠١	٧٨٩	٣٤ر٧١١
١٨٩١	—	—	—	—	—	—	٤٠ر٩٢٦

بما فيهم العسكريون

٨ ـ العلاقات الانجلو / تركية وتخطيط حدود اليمن :

VIII. Angalo-Turkish Relations and the delimitation of the Yemen Boundary.

على الرغم من انسحاب تركيا من السلطنات التي احتلتها عام ١٨٧٣ فهي لم تقتنع البتة بدعوى الانجليز باستقلال « النواحي التسع » لانها كانت تعتبر السيادة العثمانية قائمة على كل الجزيرة . فمثلا عندما مد الانجليز عام ١٨٨٢ سلطتهم الى الشيخ عثمان احتج الباب العالي على ذلك . وبازدياد المنافسة الاوربية على اقتسام افريقيا زادت مطامع بريطانيا بعدن وجنوب الجزيرة وذلك لقربها من ميدان الصراع الاستعماري . وزادت مخاوفها اكثر بعد مجيء الالمان والفرنسيين الى الشيخ سعيد في باب المندب . وقد دفع المسؤولون البريطانيون في المنطقة حكومة الهند عام ١٨٨٦ الى الاعلان عن مخطط للسيطرة الكلية على جنوب الجزيرة عن طريق اتفاقيات حماية تمتد من البحر الاحمر الى الخليج العربي . وكان منطقهم لتنفيذ المخطط هو اولا من اجل اقفال تلك السواحل امام الدول الاخرى المنافسة ، وثانيا لكي يضمنوا استمرار موارد عدن الغذائية من الداخل ، واخيرا لتكون المحميات بمثابة الحاجز امام تركيا الموجودة في شمال اليمن .

وبالطبع كانت هناك اسباب داخلية اخرى دفعت بالانجليز الى تنفيذ مخططهم الجديد . فقد زاد توريد الاسلحة الى الارياف في تلك المدة عشرة اضعاف تقريبا . وكانت الصبيحة ـ بسبب قربها من جيبوتي ـ هي المنفذ الرئيسي لتجارة الاسلحة الى بقية الامارات والسلطنات . وكان من نتائج انتشار الاسلحة بين القبائل تدهور سلطة السلاطين والمشائخ خاصة في المناطق التي لم يكتسبوا فيها مراكز الاعراف القديمة والاختيار القبلي . لذا فعن طريق الحماية ارادوا من جديد دعم سلطة السلاطين المنهارة وكذا السيطرة على تجارة الاسلحة . هذا من جهة ومن جهة اخرى كمحاولة منهم لمجابهة السياسة الذكية التي كانت تتبعها تركيا لنسف سلطة السلاطين في المناطق المجاورة لهم . فقد كانت تشجع على ابرازاشخاص من العاديين والطبقات الدنيا بدلا من الزعماء التقليديين . وقد دفعت هذه السياسةالمتنازعين والمتضررين الى الميل نحو هذه القوة او تلك للمحافظة على مصالحهم . ولما عاد النفوذ التركي الى الحواشب شمال السلطنة اللحجية قام سلطان لحج وبمساعدة الانجليز في مايو ١٨٩٤ بتجنيد مرتزقة من العوالق والصبيحة واحتل بواسطة الاسلحة الانجليزية منطقة الحواشب والحقها بلحج بعد طرد السلطان الحوشبي منها .

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

ومنذ ان تولى السلطان احمد فضل امر سلطنة لحج عام ١٨٩٨ وحتى وفاته عام ١٩١٣ اصبح هو صاحب الكلمة العليا لدى الانجليز في شؤون المحميات فبعد ان ضرب الحواشب طلب مساعدة الانجليز ايضا في ضرب الصبيحة من اجل ان يسيطر على تجارة الاسلحة ويصبح صاحب الكلمة المسموعة بل والمشارك في صياغة مستقبل الارياف واليمن الشمالي ايضا . وقد تمكن من ضرب الصبيحة بواسطة الاسلحة الانجليزية وفرقة خيالة المجراد التابعة لهم . ثم تقرب الم الامام بالمال والمشورة والسلاح كي يواصل الاخير حروبه ضد الاتراك في شمال اليمن . وعمل من نفسه واسطة بين الانجليز وبين الامام بحيث ان الامام عرض عام ١٨٩٩ تقسيم المنطقة بينه وبين الانجليز شريطة حصوله على حمايتهم . ولم يقبل الانجليز ذلك العرض لانهم لم يريدوا نسف السلطة التركية نهائيا وقتذاك . كما اصبح للسلطان احمد فضل تأثير حتى على قبيلتي العوالق ويافع الذين جندهم الاتراك ضد الثورة اليمنية المشهورة عامي ١٨٩٦–٨٩٢ .

ثم كان لبناء الشيخ محمد ناصر مقبل احد المشائخ التابعين للاتراك – حصنا في الدريجة على حدود الحواشب عواقبه الهامة على تفجير العلاقات بين الدولتين . فقد ضرب الانجليز القوات التركية في الدريجة وتمكنوا من طردها من هناك . ثم بداوا يشجعون امير الضالع على التمرد ضد تركيا . فلما وجدت تركيا نفسها في موقف ضعيف اقترحت على لندن عام ١٩٠٢ بتكوين لجنة مشتركة لتخطيط الحدود بين نفوذ الدولتين . ومنذ قيام اللجنة بتخطيط الحدود بدا بالشيخ سعيد عند باب المندب وانتهاء بشمال شرقي امارة الضالع كان اصرار الانجليز على ان تدخل كل امارة الضالع، بما فيها تلك التي كانت تحت نفوذ الاتراك ، تحت النفوذ البريطاني كاحدى النواحي التسع . وكان هذا يعتبر مناقضا لما سبق او قرروه عام ١٨٨٨ كسياسة عامة بان تكون الضالع نقطة مساومة يمكن ان يضحى بها اذا ما اعترفت تركيا بالحماية البريطانية على السلطنات السابقة التي عقدت معها بريطانيا اتفاقيات الحماية . ويرجع هذا الموقف البريطاني المتصلب الى تشدد نائب الملك في الهند اللورد كرزون وكذا المسؤولين الانجليز في عدن . فقد اصروا على ان تكون الخارطة للامارة التي سبق ان خططها ممثلهم في اللجنة الكولونيل وهاب عام ١٨٩١ – ٩٢ هي الاساس . وقد انحوا باللائمة على محمد صالح جعفر ، رجلهم السابق في ادارة الدائرة العربية والرجل الذي عمل على تنصيب السلطان احمد فضل بانه خدعهم خلال العشرين سنة الماضية في مسالة حدود امارة الضالع . فقاموا بالتآمر مع السلطان احمد فضل على اتهامه بالعمالة مع تركيا وضحوا به من اجل تمسكهم بموقفهم المتصلب ذاك . ولما لم تصل اللجنة المشتركة الانجلو – تركية الى نتائج حاسمة قام الانجليز في ١٣ يناير ١٩٠٣ بارسال ٤٠٠ من المشاة ومدافع الى الضالع لتكون على مقربة من اللجنة كوسيلة ضغط . ثم اتبعوها بقوة اخرى اسموها « طابور عدن المتحرك » مكون من ٢٢٠٠ جندي وضابط . وكانوا ينوون طرد القوات التركية من المناطق التي تحتلها في الضالع. ثم عدلوا خطتهم باندار الباب العالي بانهم سيضربون في البحر اية قوة عثمانية تتجه الى شمال اليمن بحجة ان ارسال اية قوات اضافية الى اليمن ستكون خطرا عليهم. وبذلك وضعوا عن ارسال حملاتها الجديدة لقمع الثورة في شمال اليمن التي ازداد اوارها في ذلك الوقت وبذلك يخسرون ولاية اليمن كلها . فكان ان اختارت تركيا الحل الاول وهو الاعتراف بالحدود التي ارادها الانجليز .وبالفعل وافق الاتراك في ٢٠ ابريل ١٩٠٥ في محضر رسمي على معظم مطالب الجانب البريطاني . وهكذا انتهت هذه الفترة وقد مد الانجليز نظام حمايتهم الى يافع العليا والعوالق العليا وبيحان وهي المناطق التي لم تكن ضمن « النواحي التسع » التي رسموها عام ١٨٧٣ .

٩ – عدم التدخل في السلم والحرب ١٩٠٥–١٩١٩:

XI. Non-Intervention In Peace and War 1905-1919.

بعد ان تمت الموافقة المبدأية بين تركيا وبريطانيا عام ١٩٠٥ على تخطيط الحدود عمل الانجليز أولا على دعم سلطة الضالع وذلك بدفع مرتبات (٥٠) جنديا لحماية الطرق التجارية المارة في منطقته . كما ارسل ضابط سياسي يحرسها و(٥٠) من الخيالة ، وقوة عسكرية مكونة من (١٠٠٠) شخص للتمركز الدائم في الضالع . وكجزء من مخططهم التوسعي في المحميات فقد دعمت الاقامة البريطانية في عدن المشروع المشترك بين

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

سلطان لحج وشركة كاوجي نشو لمد سكة حديدية من عدن الى ما بعد الحدود اللحجية . كما كانت لديهم نية في انشاء اول قوة عسكرية محلية لدعم سلطتهم في المحميات وكذلك انشاء مدرسة لابناء مشائخ ورؤساء المحميات ليسهل عليهم في المستقبل التعامل مع الارياف بواسطة المتخرجين من المدرسة.

وبينما كان المسؤولون البريطانيون يعملون بهمة ونشاط لتنفيذ مخططاتهم التوسعية حدثت امور جديدة في لندن قلبت تلك السياسة المندفعة نحو الداخل رأسا على عقب . ففي عام ١٩٠٦ فاز حزب الاحرار البريطاني فوزا ساحقا في الانتخابات وخرج المحافظون من الحكومة . وكان اول ما فعلته حكومة الاحرار هو النقد التام للسياسة التوسعية في المحميات التي بداها اللورد كرزون . ففي ٤ مايو ١٩٠٦ ارسلت برقية مطولة من لندن الى الهند تطلب منها التغيير الكامل لسياستها السابقة وايقاف مشروع سكة الحديد الى لحج وسحب الضابط السياسي والقوة العسكرية من الضالع ، كما امرت البرقية بأن لا تقوم عدن بأية عمليات حربية خارج دائرة العشرة اميال المحيطة بعدن دون موافقة لندن وبأن لا تدخل في ابرام اتفاقيات حماية جديدة . وقد حاولت حكومة الهند أن تعترض وهددت بتحميل لندن المسؤوليات المالية والسياسية لادارة المستعمرة ولكن حكومة الاحرار اصرت على سياستها الجديدة وقالت ان عدن تستمد اهميتها من ارتباطها العام بالسياسة الخارجية للامبراطورية ويجب ان لاتعتبر مجرد ولاية تابعة للهند . ولم يأت عام ١٩٠٧ الا وقد انسحب الوجود البريطاني من الضالع وعادت الامور تقريبا في المحميات الى ما قبل حادثة الدريجة وتخطيط الحدود بين الامبراطوريتين .

وبالنسبة لشمال اليمن فقد زادت المقاومة اليمنية ضد الاتراك . واصبحت خسائر تركيا الحربية في اليمن تصل في العام الى ١٠٫٠٠٠ بين جريح وقتيل . وقد اضطرت في عام ١٩٦١ ان تعقد معاهدة مع الامام يحيى اعترفت بموجبها بسلطته الروحية على سكان المناطق الشمالية ووافقت على دفع مرتب شهري له . ومنذ عام ١٩١٢ بدأ الامام يعمل مسبقا لمد نفوذه في المستقبل على المحميات وذلك بطلبه بواسطة الرسائل من الامراء والسلاطين القبول العام بسلطاته ثم دفع الزكاة وتجديد الولاء للسلطة المركزية في صنعاء .

ثم بدأت الحرب العالمية الاولى فكان لابد من التصادم المسلح بين بريطانيا وتركيا على الساحة اليمنية ايضا . الا انه من سير واتجاه الحرب بين الدولتين في المنطقة فقد ظهر ان كلتا الدولتين لم تكونا تنظران الى جبهة اليمن كاحدى الجبهات الرئيسية لحسم الحرب . فقد حاربت الدولتان بنفس القوات التي كانتا تحتفظان بهما وقت السلم وبقيت عدن طيلة سنوات الحرب قاعدة ثانوية. وحاول الانجليز كسب الحرب عن طريق تجنيد الراي العام في المحميات بواسطة النقود والوعود بتخليص الامراء والسلاطين من الاتراك . اما المناطق الساحلية فكانت تحكم السيطرة عليها ولا ترى ان الاتراك يستطيعون مد نفوذهم اليها . وبالمقابل كان الاتراك يعملون على كسب الراي العام لجانبهم باسم الاسلام ويرفع راية الجهاد ضد الانجليز الكفار . والحقيقة ان الامام يحيى لومال مع الاتراك لكان قلب الميزان لصالحهم . وقد حاول الانجليز ـ بواسطة سلطان لحج ـ ان يستميلوا الامام الى جانبهم ولكنه فضل الحياد ، فتحالفوا مع الادريسي صاحب تهامة وزودوه بالمال والسلاح. ثم احتلوا كمران التي كانت تدار كمحجر صحي وشجعوا الادريسي على احتلال جزر فرسان شريطة ان لا يتنا ل عنها لاية دولة اخرى . وقد ابرموا اتفاقية معه عام ١٩١٧ .

وبالطبع فقد استطاع الاتراك ان يحتلوا المحميات ويبقوا في لحج حتى نهاية الحرب عام ١٩١٩ . ففي أواخر يونيو ١٩١٥ وصلت القوات التركية النظامية ، بمساعدة المجاهدين من أواسط اليمن والكثيرين من رجال القبائل الساخطة كيافع والصبيحة ، الى الدريجة بعد الاستيلاء على الضالع والعلوي والحواشب . وفي ٤ يوليو احتلوا لحج بعد ان فرا سلطانها الى عدن . وكان الانجليز قد سبق ان انجدوه بقوة من حاميتهم في عدن أسموها « طابور عدن المتحرك » الا ان هذه القوة البريطانية لم تشترك في الحرب بسبب سوء تنظيمها وانهيار مواصلاتها ثم انتشار الذعر بين أفرادها . فقد ارسل قسم من القوة بواسطة السيارات الا ان معظمها غرقت في الرمال ولم تصل لحج سوى عشر منها وحوالي (٢٥٠) جنديا وبطارية للمدفعية. وقد انتشرت الفوضى بين الباقين فهرب الجمالة بجمالهم المحملة بالمؤنة . اما اولئك الذين وصلوا لحج فقد تملك الذعر قادتهم وهربوا اليوم الثاني الى بئر ناصر بعد ان تركوا معظم اسلحتهم ومؤنهم،

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

ثم واصلوا الانسحاب الى خور مكسر . وقد وصل الاتراك الى الشيخ عثمان احدى مدن المستعمرة ثم انسحبوا منها وبقيت الشيخ عثمان هي الحد بين جيشي الدولتين الى ان انتهت الحرب . وقد اعلن اللورد كيتشنر في لندن ان سبب هزيمة الجيش البريطاني لم تكن بسبب الاتراك وانما تقصير القائمين على امره . ونتيجة لذلك قامت لندن بتسريح مقيمها السياسي في عدن .

١٠ ـ ديبلوماسية والبحث عن الاستقرار :

X. Diplomacy and the Search for Stability.

كان واضحا بأن عدن لم تلعب دورا بارزا اثناء الحرب العالمية الاولى . فقد دارت ميادين الحرب الرئيسية في منطقة الشرق الاوسط وكانت الجيوش تنطلق من قواعدها الاساسية في مصر والعراق . وبعد انتهاء الحرب اصبح . خطالدفاع الجديد هو محور بغداد ـ القاهرة ـ وبالنسبة لسياسة بريطانيا في الجزيرة العربية فقد ارادت بريطانيا ان تطبق على الجزيرة مبدأ مونرو بحيث تكون لها اليد الطولى في شؤون الجزيرة بعد الحرب والقدرة على استبعاد الدول الاخرى ثم محاصرة القومية العربية فيها . وطيلة سنوات الحربكانت عدن توصف بانها « قاعدة امبراطورية » مع التأكيد على دورها في مجالي المواصلات وتزويد الوقود. ففي عام ١٩١٧ حولت السيطرة الحربية على عدن الى وزارة الدفاع البريطانية اما المحميات فاصبحت تحت مسؤولية وزارة المستعمرات .

وبعد الحرب ، ولمدة عقد من الزمن ،اصبحت عدن تتأرجح بين لندن والهند . فلم يصلوا الى اية نتيجة مرضية حول تبعية المستعمرة لتكون تابعة للهند ام للندن ومن الذي يتحمل مسؤولياتها المالية . والحقيقة انه منذ احتلالها عام ١٨٣٩ وتاريخ عدن تميزه الفوضى الادارية والتعقيدات بسبب عدم ثباتها تحت جهة محددة . وقد زادت المشكلة بروزا بعد الحرب بحيث نجد ان رئيس الوزراء البريطاني يعطى في وقت من الاوقاتاجوبة خاطئة في البرلمان عن من هو المسؤول الحقيقي عنها . وفي العشرينات من هذا القرن ، وبسبب امكانية استقلال الهند ، بدا الانجليز يعملون تدريجيا على محاولة سحب عدن النهائي من تحت الحكومة الهندية وبدات اصوات المسؤولين ترفع الان شعار ان « عدن عربية في ارض عربية وان مستقبل اهلها مع اهل الجزيرة وليس مع الهند » وهذا الاتجاه الجديد اثار بالطبع مخاوف الهنود مسؤولين وتجارا وموظفين لان تحويل عدن من تحت الهند لن يكون في صالحهم . بل ان الانجليز حاولوا ان يجعلوا المطالبة بتحويل عدن من الهند الى تحت وزارة المستعمرات البريطانية وكانها هي مطالب سكانها العرب وذلك لكي يردوا على ادعاءات السياسيين الهنود بعدم وجود الشعور السياسي العربي فيها . ففي عام ١٩٣٢ حولتعدن من تحت حكومة بومبي واصبحت تكون مفوضية مستقلة مباشرة تحت نائب الملك في الهند . وفي عام ١٩٣٧ حولت نهائيا الى و ارة المستعمرات في لندن . واعلنت لندن ان الحكومة البريطانية لاتريد ان تقاسم « القاعدة الامبراطورية » مع الهند المستقلة .

بالنسبة للسياسة البريطانية تجاه الامام يحيى فقد تميزت بالغموض والتخبط ايضا . فبعد الحرب اتجهت انظار الانجليز بشهية نحو الشيخ سعيد في باب المندب ، كما كان هناك تخطيطلاقامة دولة مستقلة في منطقتي تعز والحجرية لتكون بمثابة الحاجز بين قاعدة عدن ومملكة الامام يحيى الجديدة بعد خروج الاتراك . ثم تخبطت السياسة البريطانية تجاه الامام بين ثلاث بدائل مختلفة الاولى تدعو الى اعطاء الامام معظم المحميات مع الحصول منه على امتيازات تجارية والثانية تقول بوجوب اكراهه على الاعتراف بخط حدود ١٩٠٥ الذي تم بينهم وبين الاتراك واما الثالثة فتدعو الى تجاهله وتدعيم سلطات السلاطين في المحميات . وقد اجتمع الامام بمشائخ البلاد عام ١٩١٩ تنبأ امامهم بحكم الانجليز لليمن وطالبهم بالالتفاف حوله باسم التضامن والوحدة الاسلامية .

وقد ذهبت اول بعثة بريطانية الى الامام عام ١٩١٩ بقيادة جاكوب ـ وكان من الداعين الى تسليم الجزء الاكبر من المحميات الى الامام ـ ولكن القبائل اليمنية منعت وصول البعثة الى صنعاء ولم تطلق سراحها الا بعد ان تأكدت انها ستعود الى عدن . ولما راى الامام ان الانجليز لازالوا يحتلون ميناء الجديدة منذ مغادرة الاتراك قام بالهجوم والاستيلاء على بعض المحميات القريبة من مناطق نفوذه فرد عليه الانجليز في فبراير ١٩٢٢ بضرب قواته بقنابل الطائرات . والحقيقة انه لولا تعنت المسؤولين البريطانيين في عدن وعلى راسهم المقيم السياسي لكانت العلاقات البريطانية الامامية سويت عام ١٩٢٢ . ففي مارس ١٩٢١ عند اجتماع

سلطان ناجي
مؤرخ ومُفكّر يمني
www.sultannagi.com

مؤتمر خبراء الشرق الاوسط في القاهرة راى المؤتمر الاعتراف بسلطة الامام على المحميات حتى حدود لحج فعارض المقيم السياسي في عدن ذلك . ثم قررت الحكومة البريطانية في لندن ثانية بان من مصلحة بريطانيا الاعتراف بالامام على حساب امراء المحميات غير الموثوق فيهم شريطة اعطاء موافقته على اعتبار لحج وعدن بريطانيتين وبان تصبح عدن المنفذ الاقتصادي لكل اليمن بما فيها مملكته . ومرة ثانية عارض المقيم السياسي ذلك المشروع فتم تجميده .

وقد نشط الامام من جديد واقام بتحرير المنشورات وارسالها الى سلاطين وامراء المحميات يؤكد فيها ان البلاد واحدة وشعبها شعب واحد يدين بدين واحد ويتكلم لغة واحدة . وفي حضرموت لقيت دعوته قبولا عاما خاصا من السادة بسبب الصراع الذي كان قائما بينهم وبين الارشاديين . وقد طالب الامام في تلك المنشورات باراضي اجداده دون ان يحدد ماهي بالضبط . كما ابدى استعداده بالنسبة « للبلاد جنوب اقليم اليمن » تقديم بعض التنازلات حول كيفية ادارتها ولكن ليس على حساب سيادته عليها . فهو مستعد ان يترك المنطقة الساحلية من لحج الى المكلا للبريطانيين . اما مناطق الحواشب وبافع فيمكن ان تبقى تحت حكامها المحليين شريطة ان يحكموا بمقتضى الشريعة . وبالنسبة للضالع وبقية الامارات فيجب ان يحكمها مباشرة ولكن عن طريق المذهب « الشافعي » بدلا من الزيدي « مذهب حكمه. وعلى الرغم من ان مقترحات الامام هذه لم تكن تختلف كثيرا عن المقترحات البريطانية في مؤتمر القاهرة فلم تقبل بها الحكومة البريطانية وذلك بسبب الدور الفعال الذي كان يلعبه موظفوها في المستعمرات في صناعة السياسات التي تخص مستعمرتهم . لقد كان موظفو عدن يعارضون مثل تلك السياسة ويدعون الى السيطرة الكاملة على شؤون المحميات . والحقيقة ان البريطانيين لم يكونوا يقفون خارج عملية دعم المعارضة للحكم الامامي للمحميات وانما كانوا انفسهم جزءا من تلك العملية ... ان وجود المعارضة القبلية وكون بريطانيا كانت تعتمد على القبائل ذاتها بدأ يفرز في المحميات موقفا مقابلا

(Protectorate Ansithesis)

للموقف الاولى Imamic-Thesis الذي هو حكم الامام ، وحول هذا الموقف المقابل تجمعت وترابطت المصالح لخلق الانفصالية في جنوب اليمن.

١١ ـ قوة الطيران والتوسع

XI. Air Power and Expansion.

ان مصطلح « الحماية » في عرف لغة الديبلوماسية العالمية يعني سيطرة الدولة الحامية على العلاقة الخارجية للدولة المحمية . ولكن « محمية » عدن كانت اشبه بالمستعمرة منها بالمحمية . لقد كانت محميات عبارة عن امبراطورية بيروقراطية خطط لايجادها خبراء ثم ادارها موظفون بريطانيون بمساعدة آخرين شبه ـ بيروقراطيين يعملون في شركات احتكارية كانوا انفسهم مرتبطين بطريقة او باخرى بالحكومة . فمن لم يساير الخط الرسمي كان يجد نفسه قد استغنى عن خدماته ورمى به خارج الوظيفة لان الذي كان يقرر السياسة هي الافكار التي كانت تسرى داخل النظام الرسمي وليس اولئك الذين يعملون خارجه . فاذا اراد احد بعض التفسير العام لامتداد الامبريالية البريطانية من عدن الى المناطق البعيدة من المحميات فعليه ان ينظر الى الطراز الذي قال به شومبيتر (انظر كتابه : Schumpeter Imperialism and Social Classes. وليس طرازي هوبسن ولينين (انظر كتابهما) :

(1) J. A. HOBSON. Imperialism: A Study.

(2) V. I. LENIN. Imperialism, the Highest Stage of Capitalism.

لقد كان المهندس الرئيسي لمحميات عدن هو السير برنارد رايلي الذي اصبح في الفترة ما بين ١٩٢٥ـ١٩٤٠ هو المقيم السياسي ثم الحاكم العام لعدن ومحمياتها . فهو الذي خطط واشرف على تنفيذ سياسة الحكومة البريطانية التوسعية في المحميات . والواقع ان استخدام الانجليز الواسع للطائرة في المحميات هو الذي ادى الى تحطيم الاساس العسكري لعزلة الارياف السابقة وتحقيق مشاريعهم التوسعية فيها . ففي عام ١٩٢٧ قرر الانجليز تحويل عدن من وزارة الحربية وعملوا منها قيادة جوية تقع مباشرة تحت وزارة الطيران. وبعد ان سحبوا كل قواتهم البرية من عدن أوكلوا لطيرانهم مسؤولية المحافظة على امن المستعمرة ومحمياتها ثم التوغل في الداخل لتنفيذ سياستهم التوسعية الجديدة . وقد انشأوا قوة محلية برية هي جيش الليوى ليدعم سلاح الطيران البريطاني في اخضاع المحميات .... وهكذا فقد كان تغيير

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

السيطرة الحربية ذا اهمية قصوى على مستقبل عدن والمحميات اذ ان استخدام السلاح الجوي البريطاني لم يجعل التوسع ممكنا في المحميات بل اصبح التوسع فيها مطلوبا لكي يمكن استخدام السلاح الجديد استخداما امثل .

فبعد ان ضربت الطائرات البريطانية القوات الامامية في المحميات واجبرتها على الانسحاب بعد فشل بعثة كلايتون عام ١٩٢٦ ، عادت السيطرة البريطانية على معظم الامارات والسلطنات التي كانت تحتلها جيوش الامام وبقيت العواذل تحت سيطرته .. وفي عام ١٩٢٩ عقد الامراء والسلاطين مؤتمرا كبيرا برئاسة سلطان لحج بهدف تقوية تضامنهم العام ضد الامام يحيى وتدخلاته في المحميات . وقد فكروا في ذلك التاريخ المبكر بانشاء اتحاد بينهم ولكن ذلك لم يتحقق . وفي اواخر العشرينات كان الجيش الامامي لا يزال يحتل العواذل وبيحان في الجهات الوسطى والشرقية من الارياف . وكان هذا يقلق الانجليز كثيرا لانه بالنسبة لبيحان فقد كانت تحتل مركزا استراتيجيا وسط الطرق التي تربط المحميات الغربية ومملكة الامام يحيى بسلطنات حضرموت . اما بالنسبة للعواذل فلان الكثيرين من افراد هذه القبيلة كانوا منخرطين في القوات المحلية كجيش اللبوى او قوات البوليس. وكان الاحتكاك اليومي لهؤلاء الجنود بضباطهم الانجليز ثم عتابهم ولومهم المستمر بسبب عدم استطاعة حكومتهم البريطانية حمايتهم من الجيش الامامي ، لقد كان ذلك في الاخير باعثا في ان تصر الحكومة البريطانية على سحب الوجود الامامي من العواذل قبل توقيع اتفاقية عام ٩٢٤ التي قضت بتجميد قضية الحدود مدة الاربعين سنة القادمة.

بالنسبة لوضع المستعمرة خلال هذه الفترة فقد بدا الانجليز يعملون على ربطها اكثر من الداخل ثم يكيفون سياستها لتتواءم مع سياستهم التوسعية في المحميات .. ففي عام ١٩٣٦ انشأوا في عدن كلية ابناء رؤوساء المحميات وذلك لتاهيلهم سياسيا وثقافيا في مبادىء العلوم كي يحتلوا في المستقبل المراكز الرئيسية في مناطقهم . كذلك كانت الثلاث المدارس الانجلو / محلية الموجودة في عدن قد بدات وقتذاك تزويد الادارات الحكومية بصغار الكتبة والموظفين . وبالطبع فلم تكن تلك المدارس الثانوية الثلاث حينها تضم في صفوفها اكثر من (٢٠٠) طالب . اما مجموع طلبة التسع المدارس الابتدائية (٣ حكومية و٦ معانة) فلم يتعد الالف ، ولم يزد الطلبة العرب في ذلك الوقت عن نصف مجموع الطلبة . اما بالنسبة لنشاط عدن الاقتصادي فقد اصبحت بعد عام ١٩٢٤ تقوم بتزويد السفن بوقود الزيت من الفحم . ولم يات عام ١٩٣٥ الا وقد قضت عدن على منافستها جزيرة ميون في تزويد السفن بالوقود لان الزيت اصبح هو المستخدم في تسيير السفن وليس الفحم . ولذلك انتهى ازدهار ميون بانتهاء الحاجة الى الفحم . وقد تم تعميق ميناء عدن وتوسيعه في هذه الفترة . كذلك بدات الحرف الصناعية المرتبطة بتوسع حركة الميناء وبكهربة المدينة او تغيير سبل المواصلات من عربات الخيول والجمال الى استخدام السيارات تبرز وتتكاثر .. كما انه بعد انضمام عدن الى وزارة المستعمرات عام ١٩٣٦ بدات عدن تستفيد من بعض الاموال المرصودة لتطوير خدماتها ولو على شكل محدود .

وبعد ابرام اتفاقية صنعاء عام ١٩٣٤ ،والتي جاءت نتيجة ضرب الطيران البريطاني المستمر للقوات والمدن الامامية او للضغط العسكري السعودي في الشمال عمل الانجليز بهمة على الاخضاع النهائي للمحميات وذلك بدعم سلطة السلاطين وضرب القبائل المناوئة لهم او التي تفرض اتاوات على القوافل المارة بمناطقها او تعترض حرية حركة التجارة . وقد استخدموا الطائرات لهذا الغرض فبداوا اولا بضرب قبائل القطيبي . ولم تذعن تلك القبائل الا بعد ضربها المتواصل بالقنابل طيلة (٦٧) يوما . وبعد ان ارغمت على تقديم الرهائن كضمان لسلامة الطرق في مناطقها وبعد الاخضاع الممائل لقبائل الصبيحة اتجهوا نحو سلطنة الفضلي فقاموا بضرب قبيلتي المراقشة واهل حيدرة منصور في الدرجاج حتى اخضعوهما لسلطة السلطان الفضلي . ثم قاموا بعدهما بضرب بعض القبائل الدثينية المتمردة ايضا على السلطان الفضلي حتى اعادوها الى حظيرة الطاعة ... واخيرا في عام ١٩٣٨ قاموا بواسطة الطائرات والجيش القبلي البيحاني باحتلال شدوة عنوة واخرجوا منها الجيش الامامي . وقد تميزت هذه الفترة بانشاء الجيوش المحلية في الارياف لدعم سلطة الانجليز والسلاطين .

وكان التوسع الفعال اكثر في حضرموت والسلطنات الشرقية . ففي عامي ١٩٣٤-١٩٣٦ قام انجرامز باجراء مسح اجتماعي واقتصادي وسياسي شامل لحضرموت . وقد اصبح ذلك المسح هو الاساس لسياسة التدخل في تلك

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

السلطنات . فقد تم تعيين انجرامز مستشارا مقيما لكل من السلطانين القعيطي والكثيري . وبدا انجرامز اعماله بترسيخ هدنة السلام التي عقدها بين القبائل المتحاربة هناك والتي اصبحت تعرف باسم « هدنة انجرامز » . فمن طرق بنود تلك الهدنة القبلية صلته الطائرات البريطانية بشواظ قنابلها واحرقت حرثه وارضه .. وقد قضت معاهدة الاستشارة المعقودة بين البريطانيين والسلطان القعيطي بضمان مصالح السلطان وولاية ابنه من بعده ثم اشراف المستشار المقيم ـ بواسطة الابن ثم مجلس السلطنة فيما بعد ـ على امور السلطنة عند زيارات السلطان لاقطاعياته في نظام حيدر آباد في الهند . وقد دعم الانجليز سلطتهم وسلطة السلطانين في حضرموت بواسطة تقوية وانشاء الجيوش المحلية كجيش المكلا النظامي وجيش البادية الحضرمي . كما قضوا بالنسبة للسلطان الكثيري والسادة العلويين ، على منافسهم الخطير ابن عبدات اذ كان الاخير يحاول تاسيس نظام حكم لنفسه وكانت ميوله مع الارشاد بين ضد العلويين . ثم استغل البريطانيون كارثة المجاعة التي حلت بحضرموت عامي ١٩٤٣/١٩٤٤ وتوقف تحويلات المهاجرين الحضارم في الشرق الاقصى نتيجة للغزو الياباني ، لقد استغلوا هاتين الكارثتين لتنفيذ مخططاتهم التوسعية وبالفعل كانت المجاعة نقطة تحول للتوسع فهي التي قررت القضية السياسية في صالح التوسعيين في عدن . فقد قامت المستشارية بتوزيع المؤن الغذائية على المتضررين من المجاعة ورصدت الحكومة البريطانية مبالغ كبيرة بايدي ضباطها السياسيين (الذين زاد عددهم من اثنين عام ١٩٣٤ الى اثنى عشر عام ١٩٤) تساوى تقريبا نصف مبالغ تحويلات المهاجرين قبل ان توقفها حرب الشرق الاقصى . فكان من الطبيعي ان تتمكن المستشارية ، وقد اصبحت اغنى من السلطانين ومليونيرات حضرموت السابقين ، من ان تدفع بسياستها التوسعية الى اقصى الحدود . وعندما قامت اول مظاهرة احتجاج في ديسمبر ١٩٥٠ ضد مشروع تعيين وزير السلطنة القعيطية من خارج اهاليها امر المستشار المقيم باطلاق النار على المتظاهرين فقتل ١٦ وجرح ٢٤ شخصا) العدد الصحيح هو ١٨ قتيلا و٤٧ جريحا كما اكد ذلك بوستيد المستشار المقيم المسؤول عن الحادث في كتابه الاخير « ويند اوف مورنينغ » والذي يبدو ان المؤلف لم يطلع عليه) .

وبالنسبة للمحميات الغربية فقد كانت مجاعة وقحط عام ١٩٣٤ هما ايضا نقطة تحول في السياسة البريطانية الداعية الى التوسع لقد تسببت الحرب العالمية الثانية وتجمع الجنود البريطانيين بكثرة في عدن في الحاجة الى المحاصيل الزراعية المحلية . ولهذا قامت الحكومة البريطانية باكراه سلطان يافع الساحل على التخلي عن معظم اراضي دلتا ابين لكي تقوم الحكومة باستغلالها .. وبالفعل قام المعتمد البريطاني في يوم ٢٣ يوليو ١٩٤٣ هو وثلاثة ضباط سياسيين تصحبهم قوة من الحرس الحكومي وسيطروا على المنطقة واقاموا فيها لجنة تطوير خنفر « تحت الادارة البريطانية لاستغلال الدلتا .

وبعد اربع سنوات استصلحوا حوالي ٥٠٠٠ فدان بالطرق التقليدية .. ولم يات عام ١٩٥٤ الا وقد بلغت المساحة المستغلة حوالي ٤٣٫٠٠٠ فدان . وفي عام ١٩٧٦ تغير اسم اللجنة الى «لجنة تطوير ابين » واصبحت تغطي اراضي كل من السلطنتين الفضلية ويافع الساحل . كذلك ذهبت قوة مماثلة الى احور وتم استصلاح بعض الاراضي هناك . وفي منتصف عام ١٩٤٥ ارسلت قوة عسكرية مكونة من الجنود الهنود والحرس الحكومي الى دثينه لتهدئة المنطقة وعينوا فيها عام ١٩٤٧ مجلسا جديدا ، بدلا من تبعيتها السابقة للفضلى والعوالق ، يضم رؤساء القبائل الرئيسية فيها ومستشارا سياسيا فاصبحت خاضعة للانجليز بهذه الطريقة بدلا من اتفاقية الحماية . اما في الضالع فقد استبدلوا عام ١٩٤٧ اميرا بامير وقووا من قبضتهم عليها . وهكذا بمثل هذه الاجراءات استطاعوا احكام سيطرتهم على كل المحميات في اوائل الخمسينات واصبحت « سياسة الى الامام » هي السائدة على كل المحميات من باب المندب الى شرق منطقة المهرى .

لقد كانت القوة البريطانية هي التي صنعت تلك الانظمة الجديدة ودعمت تلك التي لم تكن راسخة . فهذا امر لا جدال فيه . فجميع تلك الانظمة كانت تعمل بمشيئة حكومة عدن . فهي وان كانت تظهر باستقلال شكلي مزيف فقد كانت بالتاكيد تحت السيطرة البريطانية . وحتى عندما انشئت بعض المجالس السلطانية وعين مساعدو ضباط سياسيين من العرب فقد كان الضباط السياسيون البريطانيون هم المهيمنين والمسيطرين الحقيقيين . وفوق كل هذا وذاك فقد كانوا هم

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

الذين يمسكون بشريان الحياة المالي لكل النظام . فعلى العموم كانت كل الانظمة تقريبا تعتمد بطريقة او باخرى على هبات الحكومة البريطانية . وكان القبول المستمر لاوامر الايتهول هو الثمن الذي عليهم دفعه لتحقيق مآربهم .

١٢ ـ أوج ثم انسحاب
XII. Apogee and Evacuation.

بعد عام ٩٣٩ ، ولمدة عقدين تقريبا ، اصبح الانجليز هم المتحكمين الاساسيين في تغيير العلاقات بين الاشخاص وبين الانظمة المحلية ذاتها . كما اصبح الوجود العسكري اثناء الحرب وبعده هو الذي يحكم الحياة الاقتصادية لعدن . وقد طبقت الرقابة على البضائع والمؤن الغذائية وكان التوزيع لا يتم الا بالبطاقة . وفي الارياف ادى التغلغل البريطاني المكثف الى زعزعة قلب المجتمع. وبقى الاساس الاقتصادي لعدن هو تموينها السفن بالوقود . فلم يات عام ١٩٥٨ الا وقد اصبحت عدن انشط ميناء في العالم بعد نيويورك . كما حدث منذ منتصف الخمسينات تطور هائل في العمران وانشئت مصافي البترول البريطانية في عدن الصغرى . وكل هذا ادى الى التوسع الكبير في ميادين العمل والى خلق قوة عمالية ضخمة في المستعمرة لم يكن لها سابق عهد . ومنذ بداية الستينات ونتيجة لانتقال قيادة الشرق الاوسط الى قاعدة عدن اصبح الجزء الاكثر من العمال والموظفين يعملون في الخدمة المدنية او القاعدة العسكرية البريطانية . وفي الايام الاخيرة قبل الانسحاب البريطاني اصبحت عدن مرة ثانية كما كانت عليه ايام هينس هي اولا وقبل كل شيء هو مدينة قاعدة وحامية عسكرية .

لقد اختلفت صورة عدن تماما عن صورتها السابقة قبل الحرب العالمية الثانية . ففي تلك الفترة السابقة كان سكانها هم غالبا من التجار او اصحاب الدكاكين والمقاهي او مقاولي العمال الذين كانوا يعيشون ببذخ على حساب ذاك العمل الموسمي او من العائلات الكبيرة مثل آل جعفر التي كانت تعيش على فتات الحكومة ويعمل افرادها كمترجمين او سماسرة لها ، وكانت هناك مجموعة من الروابط المالية هي التي تمسك بذلك المجتمع غير المنظم الذي لاشكل له . كما ان الشركات الاجنبية التي وجدت في المستعمرة منذ القرن التاسع عشر ، كشركات البس وكاوجي دنشو ولوك توماس وكورى براذرس هي التي تتعامل مع البواخر والخارج وكذلك مع تجار ودلالين الداخل . وهؤلاء الاخيرون بدورهم كانوا يتعاملون مع تجار التجزئة وكان لهم ايضا مستخدمون من العمال . وهكذا كانت عدن تحتوى وقتذاك على سلسلة من الدلالين بدا برؤساء الشركات الاجنبية وانتهاء باصغر عامل او حدث يعرض خدمته او يعمل بائعا متجولا في شوارع المدينة. اما عدن بعد الحرب وقبل الانسحاب البريطاني فقد اصبحت في الاساس مجتمعا برجوازيا يعيش تحت رحمة قوى السوق غير المراقبة والتي عادت يصعب مراقبتها .. فالمضاربات التجارية وتخزين البضائع وحلقات الاسعار دائما ما كانت تتارجح بين حفض ورفع بينما كان المرابون والتجار يكجون اثر ذلك على بقية السكان مقابل تثبيت ادعاءهم للزعامة الاجتماعية . كما ان حب الاكتساب الذاتي لم يكن يلطف حدته سوى التضامن العرقي والمحلي الاخر الذي كان يتشكل عادة خارج المدينة وليس داخلها . وهكذا لم يكن مستغربا ان يكون مثل ذلك المجتمع طيعا سياسيا ولا يهتم بالمسائل الوطنية . لقد كانت عدن بمثابة « منتجع للتجار» كما ارادت في الاساس ذلك بريطانيا عندما خفضت ضرائبها واوجدت فيها ذلك النظام الذي يقدم الفرص لكل من لا يتحدى السلطة البريطانية . لقد كانت المسؤولية النهاية عن مستقبل عدن هي بيد السلطة الاستعمارية ، وكانت البرجوازية قانعة في ان تتركها هكذا . فالمجلس التشريعي الذي تاسس عام ١٩٤٧ كان مطلوب منه ان ينصح فقط في المسائل التافهة وبقيت هكذا مسؤولياته الاساسية طيلة العشر سنوات القادمة واكثر . فحتى الخمسينات كان السكان يقبلون بالامر الواقع واذا ما تكلموا في السياسة لم يكونوا يتكلمون الا عن قضايا لا تخص عدن . فمثلا اول جمعية سياسية تؤسس عام ١٩٤٧ التي هي الجمعية الاسلامية كانت مهتمة بالوضع في كشمير ونظام حيدر آباد في الهند وليس في عدن .

وبسبب الانماط الجديدة للعمل فقد برز مجتمع جديد في عدن . فاولا بدا الاباء بعد الحرب يهتمون بتعليم ابنائهم وذلك من اجل الالتحاق بالوظيفة الحكومية . وعندما بدا خريجوا المدارس يلتحقون بالوظائف الحكومية وفي الشركات وجدوا انفسهم يحتلون الوظائف الدنيا واما الوظائف القيادية فكانت حكرا على الاجانب . وقد خلق

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

مثل هذا الوضع من البداية الشك والريبة بينهم وبين اولئك الموظفين الاجانب وهـذا بدوره لم يساعد على العلاقة الودية بين الجماعتين .... كما انه في عام ١٩٤٨ ، ونتيجة للتضخم الذي ولدته الحرب ، عمت موجة من الاضرابات العمالية مطالبة بزيادة الاجور والمرتبات . ففي الاول من اغسطس قام عمال قوارب هيئة الميناء باضرابهم ، وبعد شهر تبعهم عمال خزانات شركة الزيت البريطانية في التواهي ثم قاموا باضراب ثان هم وعمال كاوجي وكورى ثم حدث في الميناء عندما اضرب حوالي (٨٥٠) عاملا مدة ثلاثة اسابيع كاملة . ونتيجة لتلك الاضرابات قبلت الشركات مكرهة تطبيق توصيات لجنة كورني الحكومية في رفع اجور عمالها . كما ان الحكومة اسست عام ١٩٤٨ ادارة العمل والشؤون الاجتماعية للاشراف على المساومة الصناعية بين الشركات والحكومة وموظفيها التي كانت غير موجودة قبل ذلك . ثم بدىء بتقليص نظام « المقاومة » واصبح العمال يلتحقون بالاعمال مباشرة دون وساطتهم كما حدث عام ١٩٥٤ عندما التحق مباشرة (٢٥٠٠) عامل بشركة المصافي البريطانية عند تأسيسها . لقد تحول ميزان القوى لصالح القوى الجديدة ،وكانت الاضرابات العمالية عام ١٩٥٦ وانشاء المؤتمر العمالي هما نقطة التحول بين المجتمع القديم والجديد . فقد بلغت النقابات المسجلة في اخر عام ١٩٥٦ (٢٤) نقابة ، وكان الذين اشتركوا في اضرابات مارس (٧٠٠٠) عامل ، كما حدثت اشتباكات خطيرة مع البوليس وقت الاضرابات . وقد تزعم شبان المكاتب والمثقفين والفنيين المهرة قيادة العمال بواسطة الجبهة الوطنية المتحدة المتطرفة . وعندما رفض اصحاب الاعمال اجراء المفاوضات معهم كسياسيين انقلبوا الى زعماء للنقابات لقد ازدادت الحركة العمالية قوة بعد قوة، ففي عام ١٩٥٩ بلغ العمال المسجلون في المؤتمر (١٥٫٠٠٠) عامل ، وفي عام ١٩٦٣ اصبحوا (٢٢٫٠٠٠) اي اكثر من ثلث مجموع كل العمال في المستعمرة باستثناء الخدم الشخصيين في المنازل . لقد اصبح عمال النقابات هم رجال الساعة والبارزين واصحاب الشعبية في المجتمع العدني .

وبالطبع فلم ينظر الى هؤلاء الزعماء الفنيين الشبان بعين الرضا من قبل العائلات الشعبية الكبيرة وذلك لاعتقادهم بانهم قد احتلوا مراكزهم السياسية في المجتمع . ان تلك العلائلات لم تكن تسعى الى طرد الانجليز وترى اهدافها القصوى في الحكم الذاتي . وكانت تنظر الى مشاريع هؤلاء الزعماء الجدد بانها مشاريع غير واقعية . وكان البريطانيون يرون في تلك الزعامات التقليدية الزعامة المسؤولة ولذلك كانوا يعينون افرادها في مجالس البلديات والميناء وفي المجلس التشريعي اما في الجبهة الصناعية فقد خلقت السياسة الاستعمارية شيئا اخر من نوع مختلف يتناسب مع اولئك الكتبة الشبان الذين قاموا بدور زعماء للنقابات في السنوات الاولى من الحركة العمالية. فقد استطاعوا كسب ثقة مجموع العمال وكانوا اكثر الناس تأهيلا لانشاء جهاز نقابي مفاوض من الادارات والشركات وهو ما كانت الحكومة الاستعمارية ترى كيف يجب ان تسير عليه العلاقات العمالية . الا ان السلطات البريطانية سرعان ما صدمت باولئك الزعماء للنقابات . فهم لم يكونوا يرضون أن يعملوا وفق الاصول البريطانية المرعية للحركة النقابية . لقد كانوا مهتمين بالسياسة وقد غيروا جلودهم كزعماء للجبهة الوطنية المتطرفة كمناورة تكتيكية منهم ليس الا وذلك من اجل السيطرة على الحركة العمالية . ولم يات عام ٩٥٨ الا وقد اصبح المؤتمر العمالي تقريبا يتبوأ المسرح السياسي وحده بدون شريكه المحتضر الجبهة الوطنية ، كما اصبح هو نقطة الوميض الرئيسية للوطنية المتطرفة في عدن . وفي عام ١٩٥٩ دعا المؤتمر الى مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي فاصدر المجلس عام ١٩٦٠ القانون الصناعي الذي حرمت بموجبه الاضرابات العمالية الا بعد فشل التحكيم الصناعي الاجباري .

في الوقت الذي كانت تتغير فيه الاموربسرعة هكذا في عدن ، كانت الامور ايضا تسير في المحميات في الخمسينات بنفس المنوال . ان « حركة الى الامام » التي بدات خلال الحرب اصبحت تتدفع بقوة فازداد انضاب الاموال وتكاثر الضباط السياسيون في الارياف وذهب التردد والخوف من التدخلات الامامية . كما بدات ابين تجذب اليها المزارعين المهاجرين من بقية المناطق بحيث زاد سكانها عشرة اضعاف في مدة ٧ سنوات فقط . وقد طرات في تلك الفترة تحسنات في مجالات المواصلات والتربية والزراعة والتجارة . وكجزء من ديبلوماسية « سياسة الى الامام » اقترح الانجليز اقامة اتحاد بين السلطنات والامارات ولكن المشروع فشل بسبب ان احدا لم يكن يقبل بان يصبح الحاكم البريطاني هو رئيس الاتحاد . لقد

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

كان هدف الاتحاد هو وقف تيار المقاومة التي بدأت في الارياف في ذلك الوقت حيث اصبح الراديو اداة خطيرة في ذلك المجال .. وقد كانت هناك عوامل كثيرة ادت الى انفجار المقاومة داخل المحميات . فاولا ان كراهية الحكم الاجنبي كان امرا مسلما به ، وثانيا فان كثيرا من ابناء المحميات كانت لديهم مظالم شخصية وكانت تلك القبائل التي شقت الطرق الحكومية بالقوة وسط مناطقها تشعر هي ايضا بنوع من التعدي على استقلالها. صحيح ان كثيرا من الناس قد استفادوا من النشاط البريطاني الجديد عندما التحقوا بالقوات المسلحة والبوليس او بالاعمال في عدن ولكن المقربين عادة كانوا هم الذين استفادوا اكثر . وحتى اولئك الذين التحقوا بتلك الاعمال الجديدة على حياتهم بدأوا يشعرون بالسيطرة والتدخل البريطاني في كل مناحي حياتهم واعمالهم . وبالنسبة للمزارعين المستقرين في ابين والعواذل واحور وحضرموت فصحيح ان حياتهم تحسنت عن سابق ، ولكن على الرغم من تلك الفوائد المادية كانوا لا يزالون يشعرون بانهم مستأجرون للارض وانهم مدينون في الوقت الذي كان يستفيد فيه المالكون من هذا الازدهار الجديد كل الفائدة .

وعلى المستوى الخارجي فقد بدأت بريطانيا تتعرض للنكسات خلال الخمسينات . فقد طردت من قواعدها في مصر والاردن والعراق وتحديت في عمان وهزمت في السويس . كما ان القومية العربية والمنافسة الامريكية / السوفيتية لم تكونا في صالحها . وقد اصبحت اليمن المتوكلية منذ عام ١٩٥٢ ملجأ لاصحاب الانتفاضات القبلية التي بدأت بالربيزي ثم امتدت الى لحج وابين . وكل هذه الامور بدأت تغير من مظاهر الحياة في الارياف. وقد فرضت عاصفة المعارضة تلك على بريطانيا في ان تعيد النظر في موقفها في المحميات فاضطرت الى ايقاف « سياسة الى الامام » كل قواتهم من الارياف ، ثم لجأوا الى تكثيف استخدام الضرب بالطائرات وتوزيع الاسلحة خاصة على شريف بيحان وسلطان العواذل . ان حوادث ١٩٥٤-١٩٥٥ في المحميات ادت الى تحطيم سمعة بريطانيا واصبحت التساؤلات التي ترفع هي متى ستزحل نهائيا عن المنطقة . وفي لندن ذاتها وجد من يدعو الى تسليم معظم المحميات الى الامام . ولكن مصلحة كل من بريطانيا والمحافظين في المملكة المتوكلية كانت هي في المحافظة على الوضع في المحميات وذلك في وجه التطرف الوطني كما يرون. وكانت تلك هي النظرة المشتركة بين الدولتين طيلة الفترة ١٩٥٥-١٩٦٢ مع اتباع سياسة جذب وارخاء حسب الاوضاع الداخلية عند كل منهما .

ثم فكر الانجليز مرة ثانية بانشاء الاتحاد ولكن اصبح له هذه المرة معسكران واحد معه واخر ضده . ففي الوقت الذي عارضت لحج قيامه كانت بيحان والعواذل تقفان الى جانبه . وهذا ادى الى ان يولد الموقف الاولي للحج - الرابطة (لحج - ليبج - شيس) موقفا مقابلا ضدها (انتي - عبدلي - شيس) فكان ان احتل الانجليز لحج وبذلك كان قطع التحالف الذي استمر مئة سنة بين الانجليز وعائلة العبدلي بمثابة نهاية عهد . وقد تم انشاء الاتحاد عام ١٩٥٩ في وقت لا يتناسب مع حقائق العالم وقتذاك . فلم يكن الاتحاد في اي يوم من الايام يكون كيانا سياسيا فعالا وانما كان عبارة عن اتحاد لمصالح افراد وجماعات لم يوحدها الشعور بالرفاقية وانما الخوف من الاعداء المشتركين . وكان المسؤولون البريطانيون هم المحتمين له لانهم ارادوا بواسطة المظلة الاتحادية ان يدفعوا بسياستهم الى الامام من جديد . ومنذ تكوين الاتحاد والتفكير يجرى لضم مستعمرة عدن اليه . وكما كان المؤتمر العمالي هو الذي يعارض المجلس التشريعي فقد اصبح ايضا هو المعارض الرئيسي للاتحاد. اما عدن البورجوازية وسياسيوها الذين اصبح ايضا هو المعارض الرئيسي للاتحاد. الذين انتخبتهم عام ١٩٥٩ لتمثيل مصالحها في المجلس التشريعي فقد انقسموا بين مجبذ للاتحاد ومعارض له . وكان خوف المعارضين في ان عدن ستاخذ دور- ثانويا فيه ... وفي الاخير تم الدمج بارادة بريطانية وبموافقة اكثرية ضئيلة في المجلس التشريعي . وكان سبب موافقة اولئك الاعضاء هو معارضتهم تصاعد التيار الراديكالي في الجنوب عموما ولخوفهم من غوغاء عدن الذين كانوا يهددون الممتلكات . وقد لاقى الدمج معارضة حتى بين الرسميين البريطانيين وفي الصحافة والبرلمان البريطاني .. كما اعلن حزب العمال وهو في المعارضة وقوفه ضد مثل ذلك الاتحاد الذي ضم قرار عدن « المتطورة » مع الاتحاد « الاقطاعي» ثم اضيفت الى معارضيه الامم المتحدة بعد ان عرض الوطنيون قضيتهم على لجنة تصفية الاستعمار فيها عام ١٩٦٣ .

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

وفي الوقت الذي كانت فيه الاسس السياسة العامة لمركز بريطانيا الذي دام ١٢٢ سنة تتقوض هكذا كانت القوات البريطانية تقعقع في المدينة باعداد كبيرة لا سابق عهد بها . فبعد ان انتقلت قيادة القوات البريطانية في الشرق الاوسط الى عدن ، أصبحت عدن هي محور الدفاع البريطاني في المنطقة بالاضافة الى تكليفها مسؤولية الدفاع عن بترول الخليج العربي واستخدامها كنقطةوثوب لقواعد بريطانيا الاخرى في الشرق الاقصى . والواقع ان عدن قد تعرضت لغزو بريطاني نهائي واصبح الجنود يملأون المدينة اكثر من اي وقت مضى. وقد اصبح الكلام عن الاستقلال في مثل ذلك الوضع شيئا اجوفا لا معنى له . لقد اصبحت عدن وكانها مدينة بريطانيا واصبح الاجانب يتقاطرون عليها بكثرة وكانها بلادهم .

ثم قامت الثورة في شمال اليمن فدعمت موقف الوطنيين في عدن . وقد اشترك عدد منهم في الحكومة الثورية الجديدة ، واما الذين بقوا فيعدن فقد ازدادوا اصرارا على ان يحلوا الاتحاد ويطردوا البريطانيين ويوحدوها مع جارها الثوري وبضغط من الوزراء الاتحاديين لم تعترف بريطانيا بالنظام الجديد في صنعاء . وقد ادى انضمام الحكومة الاتحادية مع الثورة المضادة للقوات الامامية الى تدعيم الاستقطاب في عدن والمحميات بدات تغير من شكلها . فقد تأسست الجبهة القومية في يونيو ١٩٦٣ وفي اكتوبر اعلنت الكفاح المسلح . وجاءت نقطة الوميض يوم العاشر من ديسمبر ٩٦٣ عندما القيت قنبلة على السير كيندي ترافيسكي في مطار عدن فاصابته وقتلت مساعده وجرحت عشرات اخرين . وقد اعلنت حالة الطوارىء على كل الاتحاد ورمي بقادة حزب الشعب الاشتراكي ، وهو الحزب الذي كان منذ عام ١٩٦٢ هو الصوت الرئيسي للراي الوطني في عدن ، في المعتقلات وفي اخر ذلك الشهر قامت بريطانيا بعمليات حربية كبيرة ضد العصيان المسلح في جبال ردفان ، ونتيجة لذلك لطخة سمعة بريطانيا اكثر في كل من بريطانيا والامم المتحدة .

وعندما عاد حزب العمال الى الحكم في اكتوبر ١٩٦٤ كان مصمما على تغيير سياسةبريطانيا تجاه عدن . فبعد اسابيع ازيح ترافيسكس من منصبه كمندوب سام . وكان معنى ذلك انهاء اي امل في ان الاتحاد سيبقى على اسسه القديمة. وبدى في تغيير النظام الاتحادي الى حكومة الوحدة الواحدة . وبينما كان وزير المستعمرات انتوني جرينود يناقش برنامجه في عدن في شهر نوفمبر بدات المظاهرات الصاعبة تتفجر في عدن وفي الشهر الذي تلاه بدىء في القاء القنابل على افراد الجيش البريطاني . وفي فبراير ١٩٦٥ هددت الجبهة القومية ، والتي بدات الان تشق طريقها الىالمقدمة كمنافسة لحزب الشعب ، التنظيم ذي القاعدة العمالية ، في قتل كل من يحضر مؤتمر جرينود الدستوري . وقد حاول جرينود في مارس ١٩٦٥ تغيير حكومة عدن لكسب رضا الوطنيين ولكن الحكومة البريطانية لم تنجح فقامت في سبتمبر ١٩٦٥ بتطبيق دستور عدن وطرد حكومتها والعودة الى الحكم المباشر لمستعمرة عدن في وجه ازدياد التمرد المسلح ضدها في المدينة . وفي فبراير ١٩٦٦ اعلنت الحكومة البريطانية بانها ستجلو نهائيا عن القاعدة عند منح الاستقلال عام ١٩٦٨ .. وباعلانها ذلك فان شبكة العلاقات الشخصية ، ومستقبل الترقيات ، والشعور بالواجب المهني وتوقعالمكاسب السياسية ، وهي الامور التي كانت لا تزال تربط كثيرا من الاشخاص بالجهاز الحكومي ، ان كل تلك الامور بدات تتهرا وانتشر التذمر الى قلب الادارة والقوات الاتحادية وفي معركتها ضدبريطانيا وقواتها العسكرية ركزت الثورة على كسب انصارها من بين اولئك الذين فقدوا كثيرا او استفادواقليلا خلال فترة الحكم البريطاني . وكان اكثر الراغبين في الكفاح هم افراد القبائل المحرومين وابناء الفلاحين الفقراء وصغار الجنود والملتحقين الجدد في كل من الجيش والجهاز الاداري .

وبسرعة لا تصدق تحول الجو السياسي في وجهة راديكالية واصبح كثيرون من اتباع جبهة التحرير ، تلك الجبهة التي كانت تظهر بانها في اوائل عام ١٩٦٦ كانت تتبوء اقمة الحركة الوطنية، اصبحوا في المنتصف الثاني من عام ١٩٦٧ ، وكانهم جبل سياسي قد قضى عليه بالموت . ففي يونيو

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

١٩٦٧ انسحب البريطانيون من الارياف الى عدن وفي الحال تسلمت الجبهة القومية السلطة هنـــاك وقبلت الحاميات العسكريةللجيش الاتحادي بذلك. وفي يوليو (١) كان على البريطانيين ان يواجهـــوا تمردا بين صفوف الجيش الاتحادي والبوليس ، ومن حولهم فان معركة السيطرة بين الجبهةالقومية وجبهة التحرير اشتد اوارها الى معركـة بالمدافـع في الشوارع . وفي سبتمبر (٢) أجبرت جبهـــة التحرير على الانسحاب نهائيا من الميدان واعلـن الجيش الاتحادي ولاءه للجبهة القومية . وفي ٢٩ نوفمبر ٩٦٧ حملت طائرات الهليوكبتر اخـــر الرجال البريطانيين الى ظهر بوارج قوة عسكريـة بحرية كانت تقف لذاك الغرض في الميناء .وسلمت عدن بدون قيد ار شرط للجبهة القومية المنتصرة.

وهكذا انتهت المئة والثمانية وعشرون سـنة من الحكم البريطاني في عدن . وكان انسحـاب بريطانيا بمثابة قرع الاجراس ايذانا بنهاية سيادتها في الشرق الاوسط وانتهاء عهد في تاريخ المدينـة. فلألف عام أم اكثر كانت عدن في الاساس هي ملاك لتجار العالم الاثرياء يمنيين جنوبيين كانـوا أم اجانب ، بينما كان سكان الداخل يرمقونها بعيـون غيورة يغلفها الفقر المدقع من وراء بواباتها . وقـد اختلفت فترة الحكم البريطانية نوعا ما عن الفترات السابقة . فعدن البريطانية لم تصبح الا في سنواتها الاخيرة تجذب الاهتمام . لقد كانت عدن البريطانية مركزا خارجيا لمجتمع عالمي صناعي وتجاري مهتم بانتاج وتبادل البضائع الرخيصة بالجملة وكـانت تعكس اقبح مظاهره الى ان وجد ذلك المجتمـــع الوسائل الكفيلة لتحسينها . فعندما فعل ذلك اصبحت ايام عدن البريطانية معدودة . ان المجتمع الحديث ، البيروقراطي ، التكنولوجي والافكار التي تنساب خلاله ، كان معاديا للتركيب الاجتماعـي القديم غير المتماسك ولجموع الدلالين والسماسرة والمترجمين والمديرين السياسيين الذيـــن كـانوا يستفيدون من استمرارية بقائهم . ففي الثلاثـين سنة الاخيرة من الحكم البريطاني عملت الحكومـة الاستعمارية كوكيلة لهذه القوى الجدتدة ، دافعـة المدينة التجارية بالمناكب وعاقدة الصلات بين سكان الداخل حتى بدات الاستفسارات المحرجة تسأل عن وجودها ذاتها . وانتقلت المبادرة عندئذ الى زعماء الحركة الوطنية الذي كانت مواقفهم تتطابق مـع مواقف الاصلاحيين من المثولين البريطانيين في طرق اكثر مما ورد كل من الفـــريقين الاعتراف بـــه (٣) ان اعادة احتلال عدن في الستينات من قبـــل رجال الداخل لا يمثل احدى تلك الاخضاعـــات السابقة للمدينة بواسطة جيرانها القبليين التـــي كانت تنذر بالكارثة في الماضـي . لقـد مثلت ثورة في مجتمع متماسك نوع ما ثورة تشمل كل الجنوب الذي كان الان مدنيا اكثر في نظرته وسماته. لقـد تسلم الزعماء الجدد ميراثا محطما بدرجة كبـيرة، لانه بصرف النظر عن ما احدثته الثورة ذاتها مـن ارتباك واضطراب ، فان انهاء القاعدة واغـــلاق قناة السويس في الوقت ذاته قد قضياعلى الدعامتين الاساسيتين لازدهار عدن البريطانية . ومع ذلـك فقد بقيت هناك اعداد كبيرة متوفرة من الكفـاءات والمهارات المحلية مؤهلة افضل لتلبية حاجـــات عالم اوسع اكثر من اي وقت في الماضي . وكـانت عدن ما تزال مكانا ذا امكانية كبـــيرة وقيمـــة استراتيجية اكثر في الواقع مما كان عليه عندمـــا كانت تندرج ضمن نظام دفاع بريطاني اوســـع ممتد من مصر الى الهند خلال الفترة من عـــام ١٨٨٢ وحتى الحرب العالمية الثانية . وعدن لازال يمكنها ان تتوقع في ان تستفيد من ذلك الواقـع ما دامت الدول العظمى في العالم كانت مقتنعـة بأن في امكانها ان تخدم مصالحها القومية عـــن طريق ارسال القوات الى ما وراء حدودها ذاتها .

---

(١) الصحيح يونيو وبالذات يومي ١٩ و٢٠ منه المعرب

(٢) الصحيح نوفمبر وبالذات ٦ منه المعرب

(٣) لاشك ان المؤلف يقصد بذلك الزعامات التي صفيت بعد ٢٢ يونيو ١٩٦٩ المعرب

www.sultannagi.com

سلطان ناجي
مُؤرخ ومُفكّر يمني

THE ARAB GULF

"Al-Khalij Al-Arabi"

AN ACADEMIC JOURNAL DEALING WITH AFFAIRS OF THE ARAB GULF & ARABIAN PENINSULA

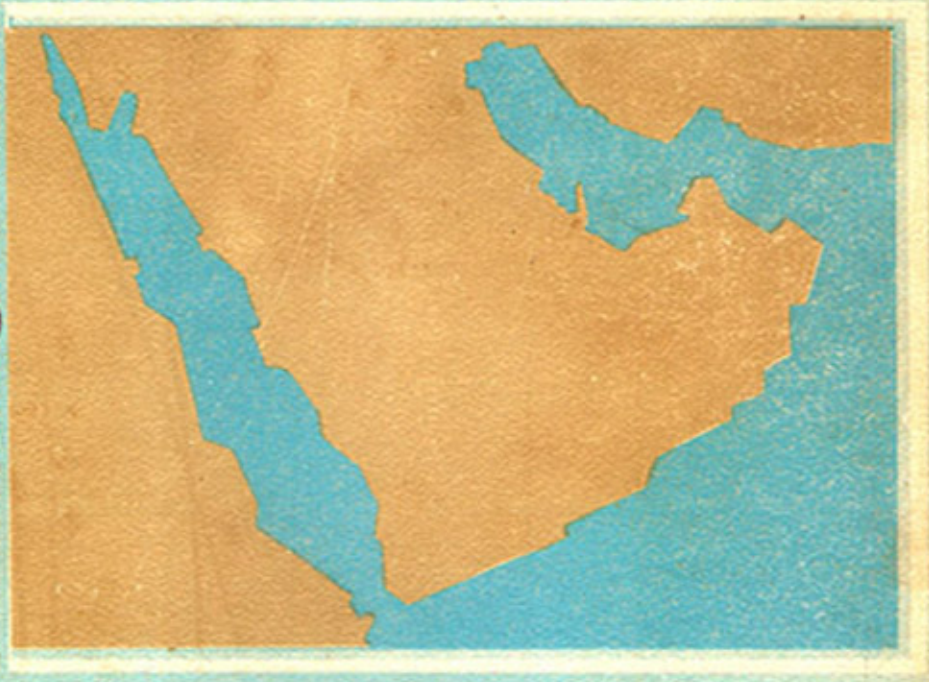

PUBLISHED HALF - YEARLY

BY

THE CENTRE FOR ARAB GULF STUDIES

UNIVERSITY OF BASRAH, IRAQ

Volume 8, 1977